

حلب
مطلع القرن العشرين

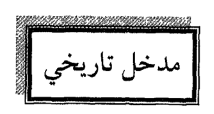
محمد قجة

حلب
مطلع القرن العشرين



حلب
مطلع القرن العشرين

محمد قجة



حلب المحروسة... حلب الشهباء... حلب التاريخ القديم المتصل المتجدد، حلب مركز الاقتصاد والتجارة والصناعة على المستوى الإقليمي والعالمي، حلب التسامح والفكر والفن والعراقة والأصالة.

يمتد عمر حلب عبر آلاف السنين... فمنطقة «المغاير» شاهد على سكنى الإنسان في المدينة منذ ما قبل العصر الحجري... والتاريخ المكتوب لمدينة حلب يعود إلى أكثر من سبعة آلاف سنة..

ورد ذكر حلب في الرقم المكتشفة في «ماري» وإبلا كما ورد ذكر «كلاسو» في رقم ماري وهي الكلاسة حالياً، وذلك منذ الألف الثالث ق.م.

كانت حلب منذ بدايات الألف الثالث ق.م مدينة مزدهرة ومركزاً اقتصادياً هاماً. وقد استولى عليها «ريموش» الأكادي في منتصف الألف الثالث ق.م. وخربها وأسر ملكها «لوكال أوشومكال»، وكان ذلك أول تخريب حربي لمدينة حلب.

نهضت حلب من تحت الأنقاض وعادت مملكة مزدهرة أواخر الألف الثالث وأوائل الألف الثاني ق.م. وأصبحت عاصمة دولة «يمحاض» العمورية، وكانت على علاقة وثيقة مع الممالك العمورية الأخرى في حوض الفرات: ماري - كركميش((جرابلس)) ـ بابل ـ آشور. وتبين لنا الرقم أشكالاً من العلاقات التجارية المبكرة والاتفاقيات الاقتصادية بين مملكة يمحاض الحلبية وممالك العموريين الأخرى وبخاصة «ماري». وكان ميناء «إيمار» على الفرات ((مسكنة حالياً)) هو الميناء النهري الهام لمدينة حلب في تجارتها الممتدة عبر الفرات وصولاً إلى الخليج عبر المدن العمورية.

وجاء التدمير الثاني لمدينة حلب على يد الحثيين القادمين من الشمال، والذين أزالوا مملكة يمحاض من الوجود في الألف الثاني ق.م.

ولكن المدينة تعود إلى الحياة ممن جديد وتصبح مركزاً حثياً دينياً واقتصادياً هاماً. ولا تزال آثار الفترة الحثية في قلعة حلب من خلال المعبد الذي يعود إلى منتصف الألف الثاني ق.م.

وبقيت حلب لعدة قرون موضع صراع بين الحثيين والميتانيين وفراعنة مصر، يتسابقون إلى احتلالها لما تتمتع به من مركز استراتيجي وتجاري فائق الأهمية. حتى دخلها «تحوتمس الثالث» فرعون مصر 1473 ق.م، وعاد إليها الميتانيون والحثيون. ثم أصبحت جزءاً من الممالك الآرامية التي عمّت بلاد الشام وحوض الفرات مع بدايات الألف الأول ق.م.

ومن جديد يتم تدمير حلب عام 853 ق.م على يد «سلمنصر» الآشوري. ويدخلها الكلدانيون 612 ق.م. ثم الفرس الأخمينيون الذين دمروها 540ـ ق.م على يد خسرو الأول. وبقيت تحت السيادة الفارسية حتى الاحتلال الإغريقي 332 ق.م حيث أطلق عليها الإغريق تسمية «بيروا» وتعاقبت عليها الإمبراطوريات السلوقية فالرومانية فالبيزنطية حتى الفتح العربي الإسلامي 636 م.

* * *

خلال كل تلك العصور الطويلة بقيت حلب تشكل المركز الاقتصادي العالمي الذي يربط بين القارات والمحيطات. وبقيت طريقاً تجارياً إجبارياً تمر به القوافل في طريقها من الشرق الأقصى إلى أوربا. ومن شبه الجزيرة العربية إلى البحر الأسود.

*** ـ تأتي أهمية مدينة حلب من عدة عوامل، أبرزها :**

ـ وقوعها في مفترق طرق برية محورية بين الفرات والمتوسط والأناضول وشبه الجزيرة العربية.

ـ خصوبة الأرض الزراعية حولها، مما جعلها مركزاً هاماً للزراعة والرعي.

ـ الحجارة الكلسية البيضاء التي ميزت مبانيها عبر التاريخ، وضمنت لتلك المباني البقاء والاستمرار.

ـ تعاقب الدول والإمبراطوريات والشعوب والحضارات عليها، مما أكسبها غنى حضارياً وتسامحاً واحتراماً للتعددية وللآخرين.

ـ الازدهار الاقتصادي الذي وفرته العوامل السابقة، وجعل حلب موقعاً عالمياً متميزاً على مدى العصور.

وخلال العصور الإسلامية المتتابعة كانت حلب واحدة من المدن الكبرى في الفترات الأموية والعباسية. وكانت مركزاً دفاعياً متقدماً على الحدود مع الدولة البيزنطية ومكاناً لتجمع الجيوش الإسلامية المنطلقة لمحاربة بيزنطة. ولهذا لم يكن غريباً أن يتخذها الخلفاء والأمراء الأمويين مقراً لهم مثل سليمان بن عبد الملك وهشام بن عبد الملك، وعمر بن عبد العزيز، وأن يتخذها العباسيون منطلقاً لحروبهم المتصلة ضد البيزنطيين: الرشيد ـ المأمون ـ المعتصم. وتحمل حلب من ذكريات تلك الفترات: قصر الناعورة، الحاضر السليماني، قصر الدارين.

بلغت حلب ذروة عظتها السياسية والفكرية أيام سيف الدولة الحمداني وبلاطه الباذخ الذي اجتمع فيه من المفكرين والأدباء والشعراء، ما لم يجتمع في بلاط أي خليفة في بغداد أو قرطبة أو القاهرة.

وتعرضت حلب للتدمير خلال حروب سيف الدولة مع البيزنطيين حينما تمكن نقفور فوكاس أن يحتلها ويخربها تماماً عام 962م، ويقتل أكثر سكانها ويستبيحها لمدة ثمانية أيام.

وكعادتها تقوم من تحت الأنقاض وتستأنف دورة الحياة.

تتألق حلب من جديد أيام الأيوبيين عمرانياً واقتصادياً، وتبلغ ذروة أناقتها المعمارية على يد الظاهر غازي بن صلاح الدين الذي ترك فيها بصمات معمارية متعددة من أهمها إعادة بناء القلعة وأسوارها وأبراجها وتجديد أبواب المدينة وبناء عدد من المدارس والمساجد الباقية حتى اليوم.

ويتميز عهد الظاهر غازي بالتبادل التجاري الاقتصادي الواسع مع أوربا رغم الحروب الصليبية. وقد تم عام 1207م عقد اتفاقية تجارية مع دولة البندقية التي أرسلت مبعوثيها برئاسة بيترو مارينياني إلى حلب لتوقيع تلك الاتفاقية. وهي أول

اتفاقية بين أوربا والشرق الأوسط وقد جددت غير مرة فقد جاء إلى حلب «سولوغلو» عام 1229 ثم «ساغريدو» عام 1254 ممثلين لجمهورية البندقية.

ويأتي الدمار الهائل على يد هولاكو المغولي عام 1260م ومعه صاحب سيس. ثم الدمار المغولي الثاني على يد تيمورلنك عام 1400م.

* * *

إلى جانب التخريب الناجم عن الغزوات والحروب، تعرضت حلب إلى عدد كبير من الزلازل المدمرة عبر تاريخها الطويل، وهي واقعة على خط الهزات الذي يضرب المنطقة بين فترة وأخرى. ومن أشد هذه الزلازل: 92 ق.م ـ 571م ـ 1170م ويذكر أن المدينة فقدت فيه ثمانين ألفاً من سكّانها. ثم زلزال القرن الماضي 1822 الذي دمر أكثر من نصف مباني المدينة.

يضاف إلى ذلك الطواعين التي كانت تجتاح المدينة في إطار الهجمة العالمية لذلك الوباء الخطير. ومن أشد الطواعين فتكاً، طاعون 1349م الذي اجتاح أكثر دول العالم.

ويندر أن تجد مدينة تعرضت لكل تلك الموجات المدمرة من حروب وزلازل وأوبئة واستمرت حيّة متفتحة قوية، بينما نجد أن كثيراً من المدن المماثلة قد طواها النسيان بعد تدميرها مثل: بابل ونينوى وماري وابلا وآشور والري وبلخ ..... وغيرها.

* * *

أصبحت حلب في العهد العثماني مدينة تتوسط إمبراطورية مترامية الأطراف تمتد من الدانوب غرباً حتى العراق شرقاً وتشمل الشمال الإفريقي والجزيرة العربية. وانتقلت حلب بذلك من مدينة ثغور دفاعية إلى مركز تجاري واقتصادي عالمي. وترسخ دورها كطريق إجباري للقوافل التجارية بين أطراف العالم...القوافل التي تحمل الحرير والتوابل والمصنوعات المختلفة.

خلال الأعوام الألف الأخيرة امتلكت حلب زمام التجارة العالمية كطريق بري محوري وحاسم. وبقي هذا الدور نشطاً حتى افتتاح قناة السويس 1869. حيث فقدت

حلب 93% من تجارتها لمصلحة الطريق البحري عبر القناة. وكانت هذه أكبر ضربة اقتصادية للمدينة في تاريخها الطويل.

وقبل ذلك بعدة قرون، وحينما اكتشف البرتغاليون رأس الرجاء الصالح 1497 تأثرت تجارة حلب. ولكنها عادت للازدهار لأن أعمال القرصنة البحرية الدولية جعلت الطريق البري المار بحلب أكثر أماناً.

ويروي المؤرخ ابن الشحنة أن ما كان يباع في حلب خلال يوم واحد يحتاج إلى ثلاثة أشهر لكي يباع في القاهرة، وذلك خلال القرن الخامس عشر.

لقد أدى التوسع التجاري السريع والهائل إلى تطور كبير في المرافق التجارية والاقتصادية تمثل بما يلي:

1ـ التوسع الكبير في رقعة الأسواق المسقوفة وبسرعة كبيرة خلال ربع قرن من الحكم العثماني وبخاصة على يد ولاة مثل محمد باشا دوكاجين وخسرو باشا وبهرام باشا. حتى بلغت مساحة هذه الأسواق 16 هكتاراً وعددها 39 سوقاً لو امتدت على خط واحد لأصبح طولها 15 كم. وهي بذلك أكبر مجمع تجاري من نوعه في العالم. وتتوزع هذه الأسواق بحسب اختصاصها: سوق الحبال ـ الصاغة ـ الصوف ـ العطارين ـ الزرب ـ الصابون ـ ...إلخ. وتتمتع بنظام فريد للإضاءة والتهوية ومجانسة البيئة والمناخ.

2 ـ التوسع الكبير في عدد الخانات التي تجاوزت 80 خاناً في القرن السابع عشر. وتحدث عنها القناصل الأجانب وممثلو الوكالات التجارية. ومن أبرزهم «دارفيو» الفرنسي في الربع الخير من القرن السابع عشر. وكانت تلك الخانات على استعداد لاستقبال قافلة مؤلفة من أربعة آلاف جمل مع رجالها وحراسها وكل ما يلزمها. ولا تزال كثير من هذه الخانات باقية حتى اليوم، ومن أهمها: خان الوزير، خان الجمرك ـ خان النحاسين، خان قورت بك، خان الشونة، خان الصابون.....إلخ.

3 ـ القيساريات: وهي ورش صناعية ملحقة بالخانات تمارس كل الصناعات اللازمة والمكملة للدور الاقتصادي للمدينة.

ومن المعروف أن مدينة حلب كانت تضم خمسة عشر ألف نول لنسج الحرير في أوج ازدهار تلك التجارة. وحولها أشجار التوت لتربية دودة القز المنتجة للحرير.

4 ـ وجود عدد كبير من القنصليات والجاليات الأجنبية التي تمثل أكثر دول العالم، والتي زاد عددها على ثمانين قنصلية ووكالة في القرن السابع عشر. أهمها: البنادقة، الفرنسيون، الهولنديون، الإنكليز. وفي عام 1535 وقع سليمان القانوني معاهدة مع فرنسا تم بموجبها افتتاح قنصلية وممثلية تجارية فرنسية في حلب. وتلاها معاهدات مع بريطانيا وهولندا.

5 ـ التحصينات الدفاعية القوية المتمثلة بالأبواب والأبراج والأسوار والجند المدرب.

6 ـ الدور الأثرية والمتميزة في أحياء المدينة كمظهر للترف الاقتصادي والازدهار التجاري والعمراني وبخاصة في أحياء: الفرافرة ـ البياضة ـ العقبة ـ الجلوم ـ الجديدة... ثم الجميلية والعزيزية في القرن الماضي.

7 ـ الازدهار الفني والموسيقي الذي اشتهرت به حلب: الموشح الحلبي ـ القدود الحلبية ـ الموال الحلبي ... وهذا ثمرة الازدهار الاقتصادي والعمراني الكبير الذي شهدته المدينة.

* * *

في القرن العشرين تعرضت حلب لضغوط اقتصادية جديدة تمثلت بسلخ لواء الاسكندرون الميناء الطبيعي لمدينة حلب. وانقطاع الطرق التجارية مع الأناضول. ولكن حلب عادت من جديد لتأخذ مكانها كقاعدة للاقتصاد السوري في مجالات الزراعة والصناعة والتجارة، ووجود مؤسسات عامة فيها للخطوط الحديدية والأقطان والحبوب. مما يجعلها تشكل في ثقلها الاقتصادي أكثر من نصف طاقة الاقتصاد السوري.

وليس خافياً أن مدينة حلب هي أول مدينة عربية تأسست فيها غرفة تجارة. وأول مدينة عربية عرفت الأعمال المصرفية على مستوى عالمي. وكانت العملات المتداولة فيها خلال القرون الأربعة الماضية تمثل أكثر العملات العالمية نقداً وتحويلاً وأعمالاً مصرفية.

وليس خافياً أيضاً أن مدينة حلب تعتبر النموذج للمدينة العربية بطابعها الكوسموبوليتي على مر التاريخ، وذلك بحكم موقعها الجغرافي ودورها التاريخي

وطبيعة التركيبة السكانية المتنوعة والمتناسقة والمنسجمة في إطار فريد من العيش المشترك والاحترام المتبادل والاعتراف بالآخر.

ولا تزال حلب تحتفظ بخصائصها هذه حتى اليوم رغم كل الظروف التي مرت بها.

ﮩﮩﮩ - الفصل الأول - ﮩﮩﮩ

- الواقع الديموغرافي -

عرف عدد سكان حلب أشكالاً من الصعود والهبوط، بحسب الظروف السياسية والاقتصادية، وانتشار الزلازل والأوبئة.

وقد ظلّت حلب رغم كل الظروف تحتل المرتبة الثالثة في الإمبراطورية العثمانية بعد استانبول والقاهرة، بل وتتفوق اقتصادياً على القاهرة بحكم موقعها الجغرافي المتوسط في تلك الإمبراطورية، وتنوع السلع التي تفد إليها، والأهم من ذلك اختلاف اللغات والأجناس والأعراق المذاهب التي تلتقي فيها، مستفيدة من أسواقها الواسعة النظيفة وخاناتها وأبوابها العشرة وطرقها المرصوفة بالحجارة.(1)

ففي أواخر القرن السابع عشر يقدر «دارفيو» قنصل فرنسا في حلب عدد سكّان المدينة بـ/290/ ألفاً منهم ثلاثون ألفاً من المسيحيين. وعدة آلاف من اليهود. كما يشير إلى وجود أكثر من سبعين قنصلية أجنبية في المدينة ويقول: «إن سكّان المدينة المسلمين يحبون الإفرنج كثيراً/ وهم يختلفون بذلك عن كل الذين عرفتهم في سائر أنحاء الإمبراطورية العثمانية، الحلبيون هم أكثر سكان الإمبراطورية وداعة وأقلهم إيذاء وأفضلهم معاملة، وأشدهم تمسكاً بمكارم الأخلاق، وهم أنس طيبون لا يستطيعون إلحاق الأذى بمن جاورهم، وهم يحبون الأجانب ولاسيما الفرنجة. وهم مهرة في التجارة، ولكنهم صادقون. إن الأمر خارق للعادة».(2)

وبعد مائة عام من دارفيو الفرنسي يأتي الأخوان البريطانيان «الكسندر وباتريك رسل» ليذكرا في كتابهما «تاريخ حلب الطبيعي» أن سكّان المدينة في عهدهما كان 300 ألف نسمة (3) منهم ثلاثون ألفاً من المسيحيين، وخمسة آلاف من اليهود ((أواخر القرن الثامن عشر)).

ويتحدث الأخوان رسل عن التركيب السكّاني لمسلمي حلب فيقولان إنهم من العرب والأتراك والتركمان والأكراد بمن فيهم الحضر والبدو والأغوات والأشراف والتجار وعامة الناس(4)

* ـ أما السكّان من غير المسلمين فهم على ثلاثة أقسام :

آ ـ المسيحيون الحلبيون: ويقدر عددهم بثلاثين ألفاً يتوزعون بين طوائف الروم والأرمن والسريان والموارنة. ولكل منهم كنيسة في حي «الجديدة» ويتمتعون بتسامح تام في ظل الحكومة العثمانية.(5)

ب ـ الأوربيون المقيمون في حلب: وأغلبهم من البنادقة والفرنسيون والإنكليز والهولنديين والتوسكانيين ((دوقية فلورنسا)). وكانت اللغة السائدة بينهم الإيطالية تليها الفرنسية. وكان بعضهم يتحدث العربية(6). وهناك أعداد من جنسيات أخرى. ولكل جالية قنصل ومستشار وقس وطبيب وضابط ومترجم.

جـ ـ اليهود: وعددهم خمسة آلاف. ويقطنون داخل الأسوار، ويعملون في الصرافة والسمسرة وبعض الحرف اليدوية. وكانوا أكثر الناس قذارة وأسوأهم هنداماً.(7)

* * *

إذا نحن قفزنا مائة سنة أخرى حتى الثلث الأخير من القرن التاسع عشر، فسوف تعترينا الدهشة من النقصان الكبير الحاصل في سكّان مدينة حلب.

ففي عام 1883 كان عدد سكّان مدينة حلب بحدود مائة ألف نسمة فقط، يضاف؟إليهم عدّة آلاف من الأجانب المقيمين، ومن الجنود العثمانيين في المدينة. وكان توزيع السكّان على النحو التالي:

	إناث	ذكور
مسلمون	36224	34605
مسيحيون	9868	10657
يهود	3872	3953
	49964	49215

فيكون المجموع /99.179/

والذي يثير التساؤل والدهشة: أين ذهب بقية السكّان؟! وكيف تبخرت المدينة بهذه الصورة؟.

- ويمكن الإجابة جزئياً عن هذا السؤال على النحو التالي:

1 - عرفت منذ أواخر القرن الثامن عشر وبدايات القرن التاسع عشر سلسلة من الطواعين الفتّاكة من أبرزها: (9)

آ - طاعون سنة 1786.

ب - طاعون سنة 1802.

جـ - طاعون سنة 1807.

د - طاعون سنة 1813.

وفي بعض هذه الطواعين كانت المدينة تشيع أكثر من ألف جنازة يومياً.

2 - الثورة الشعبية ضد الوالي خورشيد باشا العثماني، نتيجة المظالم والفساد وسوء الأحوال الاقتصادية. وقد تزعم الثورة أحد وجهاء المدينة ويدعى «محمد قجة»* (10). ولكن السلطة العثمانية بطشت بالثورة بشكل فظيع مما أدى إلى مذبحة هائلة وهرب الكثيرين من سكّان المدينة خوفاً من بطش خورشيد باشا، وكان ذلك عام 1819. وقد قتل زعيم الثورة محمد قجة وألقي رأسه من فوق القلعة إلى الخندق.(11)

3 - الزلزال المدمر الذي ضرب مدينة حلب عام 1821 ودامت الزلازل أربعين يوماً. هدمت أحياء بأكملها. وشملت الزلازل أنطاكية وكلّس وما يجاورها. وتقدر الخسائر البشرية بأكثر من نصف سكان المدينة، والخسائر المادية أكثر من أن تحصى. وقد بقيت آثار الدمار أكثر من قرن حتى أعيد البناء مكانها. واستمرت الزلازل تعاود المدينة 1827 و1832.

4 - الضربة الاقتصادية الكبرى التي حلت بمدينة حلب نتيجة فتح قناة السويس عام 1869. وقد أدى ذلك تدهور تجارة حلب بمعدل 93%. وعرفت حلب بعدها هجرة واسعة لأبنائها بحثاً عن الرزق، بعدما كان المهاجرون يفدون إليها

* - الجد الخامس لمؤلف هذا الكتاب.

رغبة في كسب أرزاقهم. لقد هبطت تجارة حلب من 18 مليون فرنك ذهبي سنوياً إلى قرابة مليون واحد.(12)

5 ـ إلغاء دور حلب التجاري كمركز متوسط في إمبراطورية كبيرة، عقب انهيار الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى. واقتطاع أجزاء كبيرة من ولاية حلب التاريخية وسلخها عنها. فقد كانت ولاية حلب تضم مناطق الرها ومرعش وأضنة وكلّس وعنتاب واسكندرون وانطاكية. وكان مجموع سكّان الولاية يقاربون ثمانمائة ألف نسمة، ويحد الولاية غرباً البحر المتوسط، وشرقاً نهر الفرات، وشمالاً ولاية أنقرة وجنوباً ولاية سورية.

ـ وفي عام 1897 كان توزيع السكان في ولاية حلب على النحو التالي :(13)

	ذكور	إناث	المجموع
إسلام	351249	345795	697044
إسلام قبطيان	213	218	431
روم أرثوذكس	3914	3473	7387
روم كاثوليك	3955	4089	8044
أرمن	17005	15391	32396
أرمن كاثوليك	4904	4891	9795
سريان	1963	1750	3713
موارنة	981	979	1960
كلدان	89	62	151
لاتين	274	313	587
يهود	4994	5058	10052
غرباء	5030	2908	7938
أجانب	1827	695	2522
المجموع العام لسكّان الولاية بجملتها	401041	390015	791056

ونلاحظ من هذا الجدول أن التركيبة السكّانية المتنوعة لم تكن مقصورة على مدينة حلب، وإنما كانت تعم أرجاء الولاية بأكملها، كصورة على التعددية الواسعة على المستوى الاثني والمذهبي.

كما يلاحظ أن هناك بنداً للغرباء ويقصد بهم المقيمون بصفة دائمة من غير أبناء البلاد. بينما يشير بند الأجانب إلى المقيمين مؤقتاً من غير أبناء البلد.

كما يلاحظ التنوع الواسع للطوائف المسيحية في المدينة والولاية. وهذا الأمر مستمر حتى يومنا هذا.

أما سكّان مدينة حلب نفسها، فنجد أنهم في إحصائية 1898، وبحسب سالنامة حلب يمثلون قرابة 15% من سكّان الولاية. ويلاحظ التوزيع الديني والمذهبي نفسه تقريباً الذي لاحظناه في سكان الولاية في إحصاء 1897. وهذا الجدول يوضح تفاصيل ذلك: (14)

	المجموع	إناث	ذكور
إسلام	76033	39141	36892
روم	940	449	491
روم كاثوليك	7961	4045	3916
أرمن كاثوليك	3982	1985	1997
سريان	2593	1258	1335
أرمن(قديم)أرثوذكس	1653	901	752
كلدان	143	64	79
بروتستانت	65	26	39
موارني(موارنة)	1794	26967	827
لاتين	341	200	141
أجانب	2046	495	1551
يهود	7193	3672	3521
يبانجي(أجانب)	2043	530	1513

ذكور	إناث	المجموع
53054	53733	

وإذا تقدمنا عاماً آخر إلى 1899 نجد أن سكّان ولاية حلب قد زادوا بمقدار أربعين ألف نسمة أي قرابة 05% وهذه نسبة زيادة عالية. كما نلاحظ انه في إحصاء عام 1897 لم يكن هناك ذكر لطائفة البروتستانت، بينما نجد أن عددهم في إحصاء 1899 يقترب من عشرة آلاف نسمة. والجدول التالي يوضح إحصاء سكّان الولاية عام 1899 حسب سالنامة حلب لتلك السنة.

ذكور	إناث	المجموع	
360426	**358469**	**718895**	إسلام
4619	**3790**	**8409**	روم
4230	**4298**	**8578**	روم كاثوليك
4647	**4787**	**9434**	أرمن كاثوليك
1978	**1766**	**3744**	سريان
990	**997**	**1987**	موارنة
28021	**25574**	**53595**	أرمن
85	**73**	**158**	كلدان
4813	**4833**	**9646**	بروتستانت
307	**331**	**638**	لاتين
1827	**695**	**2522**	أجانب
4488	**4680**	**9168**	يهود
2615	**1033**	**3648**	غرباء
419046	**411326**	**830372**	**المجموع**

ومن طرائف إحصائيات تلك الفترة، تلك الإحصائية التي تتحدث عن عدد القناصل في حلب. وعلى الرغم من انكماش عدد القنصليات عما كان مألوفاً في القرنين السابع عشر والثامن عشر. فإننا نلاحظ وجود عدد كبير من القنصليات قياساً

على مدن أخرى مماثلة. وفي عام 1894 كانت في حلب القنصليات التالية مع ذكر أسماء القناصل الذين كانوا يشغلونها: (15)

*** ـ قناصل الدول الأجنبية في مدينة حلب عام 1894 :**

إنكلترة : روبين كبابي ((من التبعية الإنكليزية وكان يهودي المذهب)).

إيطاليا : المحامي إنديكو وبط.

النمسا والمجر : بيجو نوبه ((قنصل عام)).

إنكلترة : مور طوماس ((قنصل)).

إنكلترة : صامسون جاعو ((قنصل)).

إنكلترة : ميخائيل ((مبشال)) خوري ((وكيل قنصل)).

فرنسا : ((لحلب وديار بكر وأطنة)) موسيو له ره ((قنصل)).

ألمانيا : القنصل جولنتكر ((زولنكر)).

روسية : القنصل باكيمانسكي.

اليونان : لا يوجد.

أسوج ونوروج : وكيل قنصل الشوفاليه ((الفارس)) جه ده بيجوتو.

بلجيكا : القنصل فره دريك يوحنا.

إسبانيا : وكيل قنصل نيقولو ماركوبولي.

أمريكا : لا يوجد.

البرتغال : أندرو ماركوبولي.

دانيمارقه ((فلمنك كما كانت تسمى قديماً)) : القنصل مواره ده بيجوتو.

أما دول رومانيا والصرب والبرازيل فلم تكن ممثلة في مدينة حلب وليس لها قناصل فيها.

ويلاحظ تغير قنصل انكلترا عدة مرات خلال هذا الجدول.

* * *

وإذا نحن انتقلنا إلى بدايات القرن العشرين فسوف نجد أن التشكيلة السكّانية تكاد تكون نفسها من حيث التنوع الاثني والمذهبي الذي كان مألوفاً ومتعارفاً عليه. ففي إحصاء عام 1908 سوف نجد أن سكّان ولاية حلب قد زاد على تسعمائة ألف

نسمة، بينما نجد أن عدد سكان المدينة بحدود 120 ألف نسمة. وهذان جدولان يوضحان التوزيع السكّاني حسب سالنامة حلب لعام 1908:

ـ مجموع نفوس ولاية حلب عام **1908**:

	المجموع	إناث	ذكور
إسلام	759040	365492	393548
روم أرثوذوكس	11632	5435	6197
روم كاثوليك	8291	4059	4232
أرمن كاثوليك	10016	4962	5054
سريان كاثوليك	3130	1512	1618
موارنة	1647	949	698
أرمن	65033	29967	35066
كلدان	582	293	289
لاتين	2283	1120	1163
سريان قديم	1852	814	1038
بروتستانت	12071	6497	5574
أجنبي	4185	1370	2815
يهود	11748	5391	6357
يبانجي (غرباء)	11759	5263	6496
المجموع	903269	433124	470145

مجموع نفوس مدينة حلب عام **1908**:

	المجموع	**إناث**	**ذكور**
إسلام	**83679**	**42918**	**40761**
روم أرثوذوكس	**867**	**401**	**466**
روم كاثوليك	**7774**	**3804**	**3970**
أرمن كاثوليك	**3771**	**1806**	**1965**

	المجموع	إناث	ذكور
سريان كاثوليك	2598	1244	1354
موارنة	1563	911	652
أرمن	1767	848	919
كلدان	192	96	96
لاتين	540	280	260
سريان قديم	57	31	26
بروتستانت	191	83	801
أجنبي	2562	760	1802
يهود	9353	4226	5127
يبانجي (غرباء)	4897	2054	2843
المجموع	119811	59462	60349

وهذا التنوع السكّاني من حيث الأعـراق والمـذاهب، لـيس وقفـاً علـى مدينـة حلـب أو ولايتها في العهد العثماني، بل هو أمر مشترك على مستوى بلاد الشام الـتي تعتبر نموذجاً للعيش المشترك المتسامح المرن. وفي إحصائية عام 1921 الـتي قامـت بها الحكومة الفرنسية المنتدبة على سورية ولبنـان نـشرت عـدد الـسكان في كـل مـن سورية ولبنان وتوزيعهم المذهبي على النحو التالي: (16)

المسلمون :

السنة	1.075816
الشيعة	110.002
العلويون	227.930
الدروز	86.125
الإسماعيلية	14.882
المجموع	1.514755

المسيحيون :

الموارنة	186.676
الروم الكاثوليك	68.762
أرمن كاثوليك	7.305
سريان	6.997
كلدان	1.267
لاتين	3.455
روم أرثوذكس	151.326
أرمن غريغوريون (قديم)	28.885
يعاقبة	8.896
برتستانت	8.887
كلدان نساطرة	104
أرمن كاثوليك و قديم	32.859
المجموع	550.419

اليهود :	16.526
طوائف مختلفة غير ما ذكر	10.157
المجموع العـــام	2.046.857

ونعود إلى مدينة حلب لقراءة التركيبة السكّانية الديموغرافية، وتوزع هذه التركيبة. وسوف نرى الملاحظات التالية:

1 ـ سوف نجد التوزع السكّاني المشترك والمختلط للأديان والمذاهب في أحياء المدينة داخل الأسوار وخارج الأسوار.

2 ـ لن نجد حياً سكانه مسيحيون مائة في المائة أو يهود مائة في المائة.

3 ـ سوف نجد الطيف الواسع من الطوائف المسيحية (11) طائفة، ولكل منها مطرانها ومطرانيتها. وهذه الطوائف التي استقرت منذ مطلع القرن العشرين هي:

ـ الروم الأرثوذكس

ـ الروم الكاثوليك

ـ السريان الأرثوذكس.

ـ السريان الكاثوليك.

ـ الموارنة الكاثوليك.

-الكلدان «كاثوليك».

ـ اللاتين «كاثوليك».

ـ الأرمن الأرثوذكس.

ـ الأرمن الكاثوليك.

ـ الأرمن بروتستانت.

ـ العرب بروتستانت.

وسوف أضرب أمثلة لتوزع السكّان داخل أحياء المدينة حسب إحصاءات الربع الأول من القرن العشرين. وقد طرأت تغيرات على هذا التوزيع بسبب الازدياد الهائل في عدد سكّان المدينة الذي قفز من مائة ألف مطلع القرن العشرين إلى أربعمائة ألف فغيم نتصف القرن العشرين، ثم إلى أربعة ملايين عام 2003.

وما يهمنا هنا هو الدلالة الزمنية للفترة التي نتحدث عنها وهي 1870 ـ 1930.

*** ـ والنماذج التي اخترتها نوعان :**

آ ـ نوع من الأحياء داخل الأسوار القديمة.

ب ـ ونوع من الحياء خارج الأسوار في المدينة الحديثة نسبياً. ومن والمعلوم إن التوسع خارج الأسوار قديم في حلب، ولكنه امتد كثيراً عقب غزو تيمورلنك لحلب وتهديمه كثيراً من أحيائها داخل الأسوار، مما اضطر الناس إلى التوسع في أحياء جديدة تلبي حاجة توسع المدينة وزيادة عدد السكّان.

*** ـ وهذه أمثلة من أحياء قديمة جداً داخل الأسوار هي :**

الجلّوم ـ العقبة ـ المصابن ـ جب أسد الله ـ ساحة بزه ـ سويقة علي. وسوف نلاحظ من الجدول ذلك التوزع الفريد للسكان من شتى الأديان والطوائف والمذاهب: وذلك على النحو التالي:

1- حارة الجلوم الكبرى(د) (17)

عدد بيوتها 477

الأقوام	المجموع	إناث	ذكور
إسلام	2956	1511	1445
روم كاثوليك	16	10	6
أرمن كاثوليك	35	14	21
أرمن	65	20	45
لاتين	41	26	15
كلدان	9	2	7
السريان	37	17	20
الموارنة	34	15	19
أجنبي	350	100	250
المجموع	**3543**	1715	1828

2- محلة العقبة(د) (18)

عدد بيوتها 110

الأقوام	المجموع	إناث	ذكور
إسلام	383	187	196
روم كاثوليك	25	16	9
أرمن كاثوليك	2	0	2
الروم	19	11	8
الأرمن	249	116	133
الكلدان	2	0	2
السريان	11	6	5
الموارنة	13	7	6

الأقوام	المجموع	إناث	ذكور
اليهود	120	67	53
الأجانب	145	45	100
المجموع	**969**	455	514

هذا ويشير حرف (د) إلى أن الحي يقع داخل الأسوار. بينما يشير الحـرف (خ) إلى أن الحي يقع خارج الأسوار.

3- محلة ساحة بزه (د) (19)

عدد بيوتها 328

الأقوام	المجموع	إناث	ذكور
إسلام	1953	984	969
الأرمن	26	0	26
اليهود	41	24	17
الأجانب	175	50	125
المجموع	**2195**	1058	1137

4- محلة سويقة علي (د) (20)

عدد بيوتها 135

الأقوام	المجموع	إناث	ذكور
إسلام	815	328	487
الأرمن	105	34	71
اليهود	124	67	57
المجموع	**1044**	429	165

5- محلة المصابن(د) (21)

عدد بيوتها 138

الأقوام	المجموع	إناث	ذكور
إسلام	554	237	217

الأقوام	المجموع	إناث	ذكور
أرمن كاثوليك	5	2	3
الأرمن	35	14	21
لاتين	7	2	5
السريان	9	3	6
الموارنة	2	2	-
اليهود	777	400	377
الأجانب	226	76	150
المجموع	**1515**	736	779

6- محلة جب أسد الله (د) (22)

عدد بيوتها 243

حدها قبلة الجلوم الكبرى وغرباً العقبة والمشارقة وشمالاً سويقة حاتم والمصابن وشرقاً سويقة علي عدد سكّانها:

الأقوام	المجموع	إناث	ذكور
إسلام	804	416	388
روم كاثوليك	521	14	7
أرمن كاثوليك	52	28	24
الروم	13	6	7
الأرمن	273	116	158
البروتستانت	6	4	2
اللاتين	9	6	3
السريان	7	2	5
الموارنة	21	11	10
اليهود	228	124	104
الأجانب	226	76	150

الأقوام	المجموع	إناث	ذكور
المجموع	**1660**	802	858

أما خارج الأسوار فالمدينة أكبر وأوسع بكثير. ويكفي أن نعلم أن مدينة حلب داخل الأسوار مساحتها /418/ هكتاراً. بينما تبلغ مساحتها الآن أكثر من ألف ضعف تلك المساحة. وهناك أحياء قديمة جداً خارج الأسوار مثل: الكلاسة، والمشهد وبانقوسا، والجديدة.... وأحياء أحدث نسبياً مثل: الجميلية والحميدية والعزيزية والسليمانية والجابرية والنيال والتلل... إلخ

وسوف نرى أن توزع السكّان على هذه الأحياء فيه التنوع الديني والمذهبي نفسه للفترة التي نتحدث عنها.

والنماذج التي سنتوقف عندها هي :

حي الكتاب، أغير، قسطل المشط، تراب الغرباء، النيال، الحميدية، الصليبة الصغرى.

وهذه جداول توضح التوزع السكّاني فيها :

1 ـ محلة الكتّاب (23)

يحدها قبلة حارة الشماعين وشرقاً نهر القويق وشمالاً كذلك وغرباً البرية.

عدد نفوسها:

الأقوام	المجموع	إناث	ذكور
إسلام	51	21	30
روم كاثوليك	6	-	6
أرمن كاثوليك	16	8	8
الأرمن	6	2	4
اللاتين	24	10	14
الكلدان	7	2	5
السريان	4	-	4
الموارنة	20	9	11

الأقوام	المجموع	إناث	ذكور
المجموع	**134**	52	82

2 ـ الجميلية (خ) (24)

الأقوام	المجموع	إناث	ذكور
إسلام	523	270	253
اليهود	1332	632	700
روم كاثوليك	60	35	30
أرمن كاثوليك	8	5	3
السريان الكاثوليك	28	15	13
الروم	7	6	1
الموارنة	17	12	5
اللاتين	3	2	1
البروتستانت	1	-	1
الأجانب	450	-	450
مهاجرو ماردين	340	-	340
المجموع	**2788**	1053	1735

3 ـ أَغْيُر (خ) (25)

عدد بيوتها 313

الأقوام	المجموع	إناث	ذكور
إسلام	1337	676	661
روم كاثوليك	780	371	409
أرمن	221	104	117
الروم	21	9	12
أرمن	38	19	19
اللاتين	21	7	14

الأقوام	المجموع	إناث	ذكور
كلدان	3	2	1
سريان	202	95	107
موارنة	100	42	58
المجموع	**2823**		

4 ـ حارة قسطل المشط (خ) (26)

عدد بيوتها 53

يحدها قبلة حارة جسر الكعكة وشرقاً الألمجي والقواس وشمالاً الشرعسوس والبساتنه وغرباً حارة الأكراد وعدد سكّانها:

الأقوام	المجموع	إناث	ذكور
إسلام	214	116	98
روم كاثوليك	71	42	29
الأرمن الكاثوليك	41	18	23
الروم	28	13	15
الأرمن	26	10	16
البروتستانت	5	2	3
اللاتين	3	1	2
سريان	22	8	14
موارنة	25	10	15
المجموع	**435**		

5 ـ حارة تُرَب الغُرباء (خ) (27)

عدد بيوتها 58

الأقوام	المجموع	إناث	ذكور
إسلام	38	24	14
روم كاثوليك	215	106	109

الأقوام	المجموع	إناث	ذكور
أرمن الكاثوليك	122	56	66
الروم	36	17	19
أرمن	129	62	66
البروتستانت	12	4	8
اللاتين	8	4	4
كلدان	8	4	4
سريان	67	32	35
موارنة	46	25	21
المجموع	**681**	335	346

6 ـ حارة النيّــال (خ) (28)

عدد بيوتها 95

الأقوام	المجموع	إناث	ذكور
إسلام	30	16	14
روم كاثوليك	231	116	115
أرمن الكاثوليك	74	14	33
سريان كاثوليك	31	17	14
روم	21	9	12
أرمن	82	42	40
سريان	43	21	22
موارنة	60	30	30
كلدان	4	3	1
لاتين	45	25	20
بروتستانت	1	1	-
المجموع	**622**	321	301

7 ـ الحميدية (خ) (29)

عدد بيوتها 509

الأقوام	المجموع	إناث	ذكور
روم كاثوليك	1820	949	871
أرمن الكاثوليك	740	374	366
سريان كاثوليك	495	252	253
روم	157	72	85
أرمن	250	105	145
سريان	55	27	28
موارنة	306	162	144
كلدان	89	42	47
لاتين	98	52	46
بروتستانت	33	11	22
المجموع	**4043**	2036	2007

8ـ حارة الصليبة الصغرى (خ) (30)

عدد بيوتها 266

الأقوام	المجموع	إناث	ذكور
مسلمون	115	63	44
روم كاثوليك	432	217	215
أرمن الكاثوليك	245	131	114
سريان كاثوليك	141	66	75
روم	63	32	31
أرمن	229	117	112
سريان	50	27	23

ذكور	إناث	المجموع	الأقوام
97	102	199	موارنة
45	52	97	كلدان
40	48	88	لاتين
11	15	25	بروتستانت
200	300	500	يهود
1017	1169	**2186**	**المجموع**

ويمكن استخلاص بعض الاستنتاجات السريعة من تلك الإحصائيات على النحو التالي:

1 ـ على الرغم من أن النسبة الكبرى للسكان هي من المسلمين فإن التوزع السكّاني لا يلحظ الفرز المذهبي للأحياء وساكنيها.

2 ـ إن الأعراق التي عرفتها حلب في تلك الفترة كانت تزداد بحسب الظروف السياسية. فنجد أنه إلى جانب العرب والأتراك والتركمان والأكراد، دخل عنصر الشراكسة خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر بعد حرب القرم والقوقاز بين الدولة العثمانية وروسيا القيصرية. مما أدى إلى هجرة شركسية واسعة. هذا بالنسبة للمسلمين.

أما بالنسبة للمسيحيين فنلاحظ هجرة واسعة من الأرمن في مطلع القرن العشرين تركزت في حلب. وهم من الأرثوذكس. ثم اخذوا يتوزعون على مناطق أخرى في العالم.

كما نلاحظ هجرة واسعة للسريان الأرثوذكس قادمة من جنوب تركيا باتجاه حلب.

وكذلك هجرة عربية من لواء اسكندرون بعد سلخه عن سورية.

وقد أغنت تلك الهجرات التنوع الاثني والديني الذي كانت تعرفه مدينة حلب. وبقيت المدينة على تسامحها ومرونتها وتقبلها لكل الآخرين واستيعابها كل من يفد إليها.

𝔖 - هوامش الفصـــل الأول - 𝔖

1. Grant:P:93
2. عبد الرحمن حميدة حلب – ص54
3. الأخوان رسل. ت. خالد الجبيلي تاريخ حلب الطبيعي-ص91 حلب 1999
4. المرجع السابق ص140
5. المرجع السابق . ص 263
6. المرجع السابق ص 250
7. المرجع السابق ص 280
8. محمدفؤاد عنتابي ونجوى عثمان حلب في مائة عام 124/1 حلب 1993
9. محمد راغب الطباخ إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء 307/3 حلب 1988
10. المرجع السابق 316/3
11. المرجع السابق 321/3
12. خير الدين الأسدي موسوعة حلب المقارنة240/3 حلب 1984
13. سالنامة حلب 1897م/ 1315هـ
14. سالنامة حلب 1898م/ 1316هـ
15. حلب في مائة عام 182/1
16. سالنامة حلب 1908
17. كامل الغزي نهر الذهب في تاريخ حلب-39/2 ط2--حلب 1999
18. كامل الغزي نهر الذهب في تاريخ حلب-70/2
19. كامل الغزي نهر الذهب في تاريخ حلب-86/2
20. كامل الغزي نهر الذهب في تاريخ حلب-138/2
21. كامل الغزي نهر الذهب في تاريخ حلب-158/2
22. كامل الغزي نهر الذهب في تاريخ حلب-167/2

.23	كامل الغزي	نهر الذهب في تاريخ حلب-240/2
.24	كامل الغزي	نهر الذهب في تاريخ حلب-241/2
.25	كامل الغزي	نهر الذهب في تاريخ حلب-324/2
.26	كامل الغزي	نهر الذهب في تاريخ حلب-332/2
.27	كامل الغزي	نهر الذهب في تاريخ حلب-342/2
.28	كامل الغزي	نهر الذهب في تاريخ حلب-357/2
.29	كامل الغزي	نهر الذهب في تاريخ حلب-359/2
.30	كامل الغزي	نهر الذهب في تاريخ حلب-359/2

ꕥꕥꕥ - الفصل الثاني - ꕥꕥꕥ

- الواقع الاجتماعي والمديني -

أخذت حلب شكلها كمدينة متميزة واضحة المعالم منذ القديم. وقد فرض النشاط الاقتصادي الواسع والمتشعب إفرازاته الاجتماعية المتمثلة في غنى المظاهر المدنية والاجتماعية في المدينة.

ويمكننا الاستعانة بشهادات بعض القناصل والتجار والرحّالة الذين زاروا حلب أو أقاموا فيها خلال القرن التاسع عشر، ومطلع القرن العشرين. وهذه شهادات بعضهم: (1)

1 - «حلب من أجمل مدن الشرق» الرحالة الإنكليزي بوكوك.

2 - «قد تكون حلب أنظف مدينة في السلطنة العثمانية وأجملها بناء وألطفها عشرة وأصحها مناخاً، والحلبيون هم أكثر أهل السلطنة تمدناً». الرحالة الفرنسي فولني.

3 - «حلب من أجمل مدن السلطنة، يحكمها باشا بثلاث شرابات، إنها تفضل القاهرة...آه حقاً إن حلب ملكة الشرق». لورانسز قنصل فرنسا في حلب.

4 - «حلب كأنها لندن الصغيرة لمن يقصدها بعد زيارته المدن الخراب والبادية الصحراوية، فإنه يجد فيها الراحة والانشراح، وسكانها هادئون ومسالمون». رامبلز الرحالة الإنكليزي.

5 - «حلب أثينا الآسيوية، وأخلاق أهلها تمتاز بالسمو والنبل». الأديب الفرنسي لامرتين.

6 - «على عكس ما يحسه الأجنبي في أية ناحية من نواحي الإمبراطورية العثمانية، فإنه لا يشعر بحلب بأنه متكدر أبداً» جون دافيد الإنكليزي.

7 - «لا أعرف حتى الآن مدينة تعتبر بوابة للدخول إلى آسيا أفضل من مدينة حلب. ذلك أن هذه المدينة تتميز برجولة مواطنيها، وبعظم فنونها العمارية ومحافظتها على روح وذوق التراث العربي مما جعلها تحظى بتقدير خاص دون سائر المدن السورية الأخرى». جرترود بل الإنكليزية.

8 ـ «وإذا ما أوغلت أكثر إلى الداخل لنصل إلى حلب، فإننا نجحد في تلك المدينة التي تعد مائتي ألف نسمة ((عام 1915)) صورة مصغرة لكل العناصر والأديان الموجودة في الإمبراطورية العثمانية، ومن خصائص حلب الفريدة أنك تجد فيها رغم حرارة الإيمان تآلفاً غريباً وتعايشاً سلمياً بين المسلمين والمسيحيين واليهود، وبين الأرمن والعرب والأكراد والأتراك، لا تجد له مثيلاً في أية مدينة أخرى». لورنس الإنكليزي.

* * *

ومن طرائف الانطباعات عن الحياة الاجتماعية في حلب ما أورده لويس شيخو اليسوعي خلال كتاباته عن رحلتيه إلى حلب. نشرت الأولى عام 1905 (2). والثانية عام 1916 (3)

*** ـ ومما ورد في الرحلة الأولى :**

«حلب مدينة واسعة الشوارع، منتظمة البيان، متقنة الهندسة، يربو سكّانها على مائة وخمسين ألفاً ثلثهم من النصارى، فيهم الروم والأرمن والسريان والموارنة والكلدان واللاتين، والحلبيون معروفون بنجابتهم، وتوقد أذهانهم، وحذقهم في العمل، ولهم الأخلاق الدمثة، والأنس في المعاملة، يرحبون بالغريب ويأنسون بالوافد، وحلب غنية بمآتي الحياة تتوفر فيها أسباب المعاش من ضروب المآكل والأثمار والبقول، وتكثر فيها الأنسجة والأقمشة والملابس وأثاث البيوت. والصناعة سوقها رائجة، والتجارة في تحسن، والزراعة يروج منها أصناف كثيرة. وأهل حلب في كل طبقاتها مشهورون بتدينهم لم يكدر صفاء تقواهم روح العصر الجديد، اللهم إلا بعض الأفراد منهم، وترى في الشهباء الجوامع والكنائس والمدارس والمطابع والأدباء».

* * *

أما في الرحلة الثانية التي قام بها لويس شيخو اليسوعي، فقد لاحظ ما طرأ على المدينة من تطور. ومما قاله في تلك الرحلة الثانية:

«لقد زاد عدد السكّان فأصبح مائتين وخمسين ألفاً وزادت المدارس والمطابع. إن حلب إحدى عواصم سورية الكبرى. إن أهل حلب ينمون نمواً متواصلاً مع من استوطنها من مهاجرين الأرمن وغيرهم. عن سكة حديد بغداد سوف تعيد لها ما خسرته بفتح قناة السويس قبل خمسين سنة. ومما يذهل الزائر لحلب نشاط أهلها في الشغل، فإنك حيثما تسير تجد الجميع صغاراً وكباراً في أشغال شاغلة يصرفون في إتمامها كنانة جهدهم ولاسيما الصنعة وأرباب الحرف، وترى الأسواق حافلة بالجماهير للبيع والشراء، أما أخلاق الحلبيين فقد اشتهرت بالأنس واللطف على موجب المثل القائل ((حلبي حلبي)) فيجد الغريب معاشرتهم ولين عريكتهم ما يطيب نفسه ويؤلف قلبه ويجذبه إلى معاملاتهم».

ومن الانطباعات الاجتماعية عن حلب. تلك التي دونها الرحالة «ادوار باشا الياس» السوري الأصل، المقيم في مصر. وقد زار حلب مطلع القرن العشرين، وكان مما كتبه في كتابه «مشاهد الممالك» (4):

«وحال وصولنا إلى حلب ركبنا في عربة وسرنا في طريق تعرف باسم السكة جديدة، وهي حديثة ومستقيمة الشكل، إلى جانبيها صفوف الشجر، وفي طرفها نهر قويق فوق جسره إلى فندق العزيزية في ضواحي حلب، وهو أحسن ما في هذه المدينة، وحي العزيزية هذا أجمل الأحياء في حلب، فيه منازل بديعة بنيت بالحجر المنحوت، وفرشت بفاخر الرياش لأكابر الحلبيين، وقد زرت بعضهم فلقيت ما اشتهر من لطفهم ومؤانستهم للغريب».

وذهبنا إلى حارة الصليبية ورأينا كنيسة الموارنة وهي اكبر كنائس حلب، فكنيسة الروم الكاثوليك فكنيسة الروم الأرثوذكس. ورزنا سراي الحكومة حيث قابلنا ناظم باشا الوالي صاحب الأيادي البيضاء.

وقضيت الشهرة في موضع طرب «نوبة» كما يقول الحلبيون، وهم يقعدون حول المغني يدخنون الحشيشة أو يشربون القهوة والسوس، ولا يضجون ولا يقاطعون الغناء على المغني في أثناء تلحينه كما يفعل عامة المصريين، ولكنهم يبدون آيات الاستحسان بعد كل دور.

* * *

وفي بداية مرحلة الانتداب الفرنسي في مطلع العشرينات زار حلب الرحالة محسن أبو طبيخ العراقي. (5) ومما ورد في انطباعاته عن تلك الرحلة:

«حلب هي إحدى عواصم الشرق وحواضر الإسلام، ولا يمكن إيراد عبارة تليق بوصفها. استوقفتنا الشرطة في مدخل المدينة فدونوا أسماءنا، وأمضوا جوازاتنا، ثم دخلنا المدينة، وذهبنا تواً إلى نزل الفرات» وما إن أصبح الصباح حتى توافد إلينا من أعيان حلب ووجهائها من طلبوا منا الانتقال إلى منازلهم فاعتذرنا منهم، واكتفينا بقبول دعواتهم إلى ولائمهم الفاخرة.

حلب مدينة عظيمة واسعة أبدع وأجمل من بغداد، وأسواقها أكثر عدداً من أسواق بغداد. ومن منتزهاتها: باب الفرج، والسبيل، وهي اليوم دولة مستقلة من الدول التي أنشأها الفرنسيون بعد احتلالهم البلاد. وفي حلب جيش فرنسي كبير ومركز للقواد.

* * *

ونجد انطباعات أخرى تكاد تكون مماثلة عند زوار ورحالة آخرين قصدوا حلب في تلك الفترة التي نتحدث عنها 1870 ـ 1930 ومن أبرزهم: (6)

ـ الشاعر الإنكليزي «بلانت» وزوجته عام 1877.

ـ البطريرك جرجس شلحت عام 1878

ـ الدكتور بيشوف الجرماني 1880 وهو مؤلف كتاب عنوانه «تحف الأنباء في تاريخ حلب الشهباء» الذي انتحله من كتاب «زبدة الحلب في تاريخ حلب» لابن العديم.

ويقول بيشوف في مقدمة كتابه: «حللت بعون علام الغيوب مدينة حلب الشهباء وزقت الغروب... وامتزجت مع سكّانها امتزاج الماء بالراح، فعاشرت منهم أولي الفضل والنباهة، فألفيتهم أصحاب أخلاق رفيعة، ونفوس زكية، وألسن عربية..» (7).

ـ المطران جرمانوس الشمالي 1892.

ـ الكاتب التركي علي كمال 1894.

ـ الأب كولا نجدت 1905.
ـ المستشرق الروسي كراتشكوفسكي 1910.
ـ لورنس 1911.
ـ لجنة كينغ ـ كرين الأمريكية 1919.
ـ وليم مارتان 1929.
ـ ملكة رومانيا تزور حلب 1930.

وقد نشر وليم مارتان مقالة مستفيضة في جريدة «جورنال دي جنيف» ترجمتها جريدة «البيرق» البيروتية بتاريخ 1929/12/8. ومما جاء فيها:

إن حلب مدينة مستديرة مبنية حول قلعة حصينة، وهي مشهورة بين جميع مدن سورية بأسواقها المتسعة المغطاة، وفيها يباع كل نوع مما يؤكل وما لا يؤكل. وإن المرء ليتساءل: هل هؤلاء الناس يأكلون في بيوتهم؟!... ففي الأسواق معجنات وحلويات من جميع الألوان والأشكال، وأسياخ اللحم المشوي، وسلل من اللوز والبذور...وشهرة أسواق حلب لم تأت اتفاقاً... فقد كانت حلب دائماً مدينة كبيرة ومركز تجارة عظيمة، وهي تمون كل تلك الشعوب الكثيرة المتحركة التي هي على الدوام في حالة هجرة من المشال والجنوب والشرق والغرب. وهي تمون أقطاراً واسعة اتخذت حلب سوقاً للبيع والشراء معاً.

لقد كانت حلب وسيطاً إجبارياً لأوربا، سواء لمشتري الصوف مثلاً أو لبائع البضائع القطنية. وإن فتح سكة حديد بغداد قد زاد في أهمية حلب. وبعد القطار جاءت السيارة.

* * *

في نهاية القرن التاسع عشر أصدر الدكتور «فاندايك» رئيس الجامعة السورية في بيروت «الأمريكية اللبنانية» حالياً كتاباً بعنوان: المرآة الوافية في الكرة الأرضية" تحدث فيه عن حلب ونسائها. ومما قاله: (8)

إن أهل حلب أجمل من جميع سكان البلاد العربية، وترى النساء مع هذه المحاسن البديعة على غاية العفة والأدب والصيانة والطاعة والرضا باليسير والقناعة والقيام بخدمة أزواجهن وأولادهن ومنازلهن.

لذلك ربما مضى الشهر ولم يرفع للمحكمة الشرعية دعوى بالطلاق، ومع قلته فإنه لا يصدر إلا عن رعاع الناس وغوغائهم. وأما مكارم الأخلاق لدى الرجال فبحسبك دليلاً عليها ما اشتهر عنهم من الميل إلى الغريب والولع بأولي الفضائل.

ومن خلال هذه الشهادات للرحالة والزوار والقناصل والتجار يمكننا التوقف عند ملامح بارزة في الواقع الاجتماعي والمديني لمدينة حلب يتمثل في المحاور التالية:

1 ـ الواقع العمراني والمعماري وبعده الاجتماعي.

2 ـ واقع المرأة في مجتمع حلب.

3 ـ التأثير الأوربي في مظاهر الحياة الاجتماعية والمختلفة.

ـ **ففي المحور الأول**: يمكننا ملاحظة أن صورة حلب العمرانية والمعمارية تبلورت في شكلها شبه النهائي منذ العصر الأيوبي ((القرن الثاني عشر الميلادي)). وبدأت المدينة تتوسع، وتتشعب وظائفها المعمارية والخدمية في العصور التالية: المملوكي، العثماني. حتى إذا كان القرن التاسع عشر كانت عوامل التأثر بالنمط الأوربي قد بدأت تدق الأبواب لتغدو ذات شكل بارز في منتصف القرن التاسع عشر.

يتميز الواقع العمراني والمعماري لمدينة حلب ببعض النقاط التي تحمل كل منها فرادة معينة. ولهذا فإن تصنيف منظمة اليونسكو لمدينة حلب كواحدة من أهم مدن العالم الإسلامي لم يأت عبثاً ولا اعتباطاً. وتعود هذه الأهمية إلى ثلاثة عوامل:

آ ـ مساحة المدينة القديمة داخل الأسوار (418) هكتاراً والتوسع الهائل خارج الأسوار منذ نشأة المدينة قبل آلاف السنين.

ب ـ التنوع الزمني الواسع في عمارة حلب الباقية حتى اليوم والتي تحمل ملامح الحضارات التي مرت بها. وبخاصة ملامح الفترات الإسلامية المتعاقبة: أموي ـ عباسي ـ حمداني ـ فاطمي ـ سلجوقي ـ زنكي وأيوبي ـ مملوكي ـ عثماني ـ حديث.

جـ ـ التنوع الهائل في وظائف العمارة وتميز كل منها: أبواب ـ أسوار ـ أسواق ـ خانات ـ حمامات ـ جوامع ـ كنائس ـ بيمارستانات ـ دور كبيرة ـ بساتين...

*** ـ تأتي في طليعة أولويات حلب وفرادتها العمارية :**

ـ القلعة الباذخة التي يعود عمرها الأثاري إلى تسعة آلاف عام. فقد عثرت بعثة التنقيب الألمانية على أحجار صوانية في القلعة عمرها سبعة آلاف عام ق.م. وهذه القلعة هي الأقدم والأكبر في العالم. وقد استخدمت عبر تاريخها معبداً وثكنة عسكرية ودار حكم ودار سكن.

ـ الأسواق المسقوفة بالحجر والتي يبلغ عددها /39 / سوقاً متخصصة بالمهن المختلفة. ولو فردناها على نسق واحد لبلغ طولها 15 كم.

ـ العدد الهائل من الجوامع والكنائس والحمامات والخانات والدور التي يعود عمرها إلى مئات السنين، وبعضها أكثر من ألف سنة.

كل ذلك جعل العمارة المدنية لحلب تميزها كمدينة كانت عصرية وحديثة في شتى مراحل عمرها المديد، لأنها كانت دوماً سابقة لغيرها في ميدان العمارة ووظائفها.

ومع القرن السادس عشر أخذ التوسع العمراني شكلاً سريعاً كبيراً لأن مدينة حلب غدت تتوسط إمبراطورية واسعة وقوية، وغدت في هذه الإمبراطورية طريقاً إجبارياً للقوافل عبر القارات.

هذه الميزة...جعلت من حلب مكاناً تتدفق إليه هجرات الأقوام والأجناس والأعراق والأديان والمذاهب، فتستوعب المدينة كل أشتات تلك الأعراق والأديان، وتصوغ منها مجتمعاً مدنياً نموذجياً في عيشه المشترك تسامحاً وألفة واحتراماً للآخر.

وأفرز التدفق الكبير للأوربيين عقد اتفاقات منحتهم ما يسمى بالامتيازات، وجعلتهم يتمتعون بحقوق خاصة يسرت لهم سبل التدفق على حلب. وبخاصة بعد اتفاقية سليمان القانوني العثماني مع الملك الفرنسي فرنسوا في القرن السادس عشر.

وهكذا رأينا حلب تستقبل عشرات القوميات والجنسيات من شتى أنحاء العالم. ويعيش الجميع ـ كما رأينا في شهادات الرحالة ـ في جو من المودة والألفة في هذه المدينة العريقة.

وكانت عمارة تلك الفترات المتلاحقة متأثرة بالفلسفة الاجتماعية للأيديولوجيا السائدة. وهذا ما نراه في طراز الدور العربية التي تلوح فقيرة الطراز من الخارج حتى إذا دلفنا إلى الداخل رأيناها مفتوحة إلى السماء وبباحتها وأشجارها وغرفها وزخارفها الباذخة، وحياة الأسرة الكبيرة فيها.

ومع التوسع في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبخاصة في غربي المدينة وشماليها. بدأت ملامح التأثر بالعمارة الأوربية، وذلك من حيث:

- فتح الشوارع العريضة المستقيمة الممتدة.
- بناء المنازل المطلة بشرفاتها ونوافذها على الشارع.
- التأثر بالزخارف المعمارية الوافدة كالباروك والروكوكو.

وذلك مع المحافظة على اللون المحلي العربي المشرقي.

وكان أن نشأت أحياء بأكملها في أواخر القرن التاسع عشر، مثل:

- حي الجميلية.
- حي العزيزية.
- حي النيال.
- حي السليمانية.
- حي الحميدية.

وأخذت هذه الأحياء الطابع الأوربي في البناء، بما أفرزه ذلك من علاقات اجتماعية جديدة تلائم العمارة الحديثة.

وشكلت هذه الأحياء نسيجاً معمارياً رائع الجمال. ومن الأمور المؤسفة أن أكثر عماراتها قد هدم فيما بعد في إطار جشع وعدم تقدير للمسؤولية. وهو ما أساء إلى حلب إساءات بالغة.

ولا زالت العمارة الحديثة تحاول إقامة التناغم بين العمارة القديمة والطرز الغربية الوافدة (9).

* * *

- **وفي المحور الثاني** : حول وضع المرأة في مجتمع تلك المرحلة نلاحظ أن ما تحدث عنه الأخوان «رسل» قبل مائة عام، قد اخذ يتبدل ولكن بنسبة قليلة.

فقد افتتحت مدارس للبنات، وذلك على المستوى الرسمي والخاص، وظهرت دعوات لأن تأخذ المرأة حقها ووضعها الاجتماعي.

وتحدث كثيرون من المفكرين عن هذا الموضوع من أمثال: عبد الرحمن الكواكبي وفرانسيس مراش وكامل الغزي وميخائيل الصقال ومريانا مراش، وقسطاكي الحمصي.

وقد ألح الكواكبي على مكانة المرأة في المجتمع وضرورة تعليمها وتخليصها من الجهل. ولكنه لا يرى عمل المرأة إلا لحاجة قصوى. ويشدد على ضرورة التكافؤ في الزواج (10) ويرى الكواكبي رؤية طريفة في العلاقة الزوجية فيقول: إن الزوج يسير أمام زوجته ليس بصفته قائداً لها، بل بصفته سائقاً، وهو يظن انه يقودها. (11)

لقد بقيت نسبة الأمية لدى النساء أعلى منها لدى الرجال، كما أن فرص العمل كانت نادرة بالنسبة للمرأة التي بقيت ربة منزل.

لكننا نلاحظ أن بعض النساء قد أخذن دوراً واضحا في المضمار الاجتماعي. ونتوقف عند مثالين هما:

1 ـ مريانا مراش ((1849ـ 1919)) التي كانت شاعرة وموسيقية ومثقفة على نطاق واسع تتقن العربية والفرنسية. وقد سافرت إلى أوربا. واتخذت من منزلها منتدى أدبياً وثقافياً يحضره نخبة مثقفي حلب. وقد سبقت بذلك «مي زيادة» بنصف قرن على الأقل. (12)

ولها ديوان شعر طبع عام 1893 بعنوان بنت فكر. وفيه مدائح ومراثٍ وتأملات طريفة.

ومن شعرها :

من كان من أهل الفضائل والنهى — وغدا أسير شمائل وعيون
يهوى الجفاء من الحبيب فإن جفا — يزدد به كلفاً وفرط شجون
يشكو له ويظل يشكر فعله — إن التعفف شيمة المفتون

2 ـ نديمة المنقاري : التي أصدرت عام 1930 مجلة «المرأة» في حلب. وكانت نديمة تتقن العربية والفرنسية. وحينما أوقفت السلطات الفرنسية المجلة عام 1932 عاودت نديمة إصدارها في دمشق عام 1947.

وقد ساعدها زوجها ووقف إلى جانبها مشجعاً لرسالتها الاجتماعية.

* * *

وإذا انتقلنا إلى محور آخر في سياق الواقع الاجتماعي رأينا كيف بدأت تظهر بوادر الإصلاح الذي عمدت إليه السلطة العثمانية بفعل رياح التغيير التي كانت تهب عليها.

فمنذ منتصف القرن التاسع عشر بدأ الأطباء الذين درسوا على الطرق الحديثة يفدون إلى حلب. وفي عام 1882 بني المستشفى الوطني (13). وفي عام 1902 المستشفى العسكري (14) وهما حكوميان. وفي عام 1907 أنشىء أول مستشفى خاص هو مستشفى «القديس لويس».(15)

وفي عام 1867 شكلت إدارة عامة لمناطق ولاية حلب الاثنتي عشرة، ونظمت فيها الأعمال الإدارية والقضائية والمالية.

وفي عام 1878 شكلت محكمة البداية. وحُصر عمل المحكمة الشرعية بالأحوال الشخصية(16)

وفي عام 1866 تشكل مجلس بلدية حلب (17) للإشراف على تنظيم المباني والنظافة العامة والإنارة ومراقبة المأكولات.

وتشكلت دائرة الشرطة 1878 (18) ودائرة أملاك الدولة 1866 لتنظيم ملكية العقارات برئاسة أحد القضاة.(19)

ونظارة النفوس 1882 لتسجيل أحوال السكان. (20)

ودائرة المعارف 1882 (21) وأنيط بها بناء المدارس وتنظيمها.

وإدارة الريجي 1883 (22) لمراقبة صناعة التبغ.

ودائرة الأشغال العامة 1884 لأعمال الطرق والجسور وما يتصل بها (23)

وغرفة التجارة 1885 (24) وهي الأولى من نوعها في المدن العربية
وإدارة الغابات والأحراج 1889 (25).
وإدارة الديون العمومية (26)
والبنك الزراعي (27)
وإدارة الأملاك السلطانية (28)
ودائرة محاسبة الولاية (29)

* * *

ويلاحظ في الجانب الاجتماعي وجود عدد كبير من الأسر الحلبية ذات الأصل الأجنبي، وهي تلك التي جاءت إلى حلب في عصور الازدهار الاقتصادي وبقيت فيها. وفيها ما يمتد عمره في حلب إلى عدة قرون. ومن أبرز هذه الأسر:

آ ـ أسرة «بوخه» النمساوية الأصل، ولها منزل في خان النحاسين يعتبر من أجمل البيوت الحلبية وعمره قرابة خمسة قرون.

ب ـ أسرة «مركوبولي» الإيطالية الأصل. وهي محرفة عن ماركو بولو. وكانت تملك خان الشونة الذي اشترته منها وزارة السياحة.

ج ـ أسرة «صولا» الإيطالية الأصل كذلك. وكانت تملك خاناً باسمها في حلب.

د ـ أسرة «بيجوتو» اليهودية من أصل إيطالي.

꩜꩜꩜ ـ هوامش الفصل الثاني ـ ꩜꩜꩜

1.	فؤاد هلال ونديم فقش	دليل حلب ـ ص15 وما بعدها	حلب2000
2.	لويس شيخو اليسوعي	مجلة المشرق ـ سنة8 العدد20	1905
3.	لويس شيخو اليسوعي	مجلة المشرق سنة 19 ص 750	1916
4.	ادوار باشا الياس	مشاهد الممالك ـ ص741	القاهرة1910
5.	محسن أبو طبيخ	الرحلة المحسنية ـ ص14	1341هـ
6.	فؤاد عنتابي	حلب في مائة عام ـ ص99ـ100	
7.	بيشوف الجرماني	تحف الأنباء ـ ص2	
8.	فؤاد هلال	دليل حلب ـ ص184	
9.	فيصل الرفاعي	حلب بين التاريخ والهندسة ـ ص244	
10	الكواكبي	أم القرى ـ ص158	
11	الكواكبي	أم القرى ـ ص 159/158	
12	قسطاكي الحمي	أدباء حلب ذوو الأثر في القرن التاسع عشرـ ص92	
13	كامل الغزي	نهر الذهب ـ 134/2	
14	سالنامة حلب	1321 هـ	
15	الغزي	نهر الذهب ـ 322/2	
16	الغزي	نهر الذهب 353/1	
17	الغزي	الغزي ـ346/1	
18	محمد راغب الطباخ	إعلام النبلاء463/3	
19	محمد راغب الطباخ	إعلام النبلاء 458/3	
20	سالنامة	1309	
21	الغزي	نهر الذهب 166/1	
22	الغزي	نهر الذهب 421/3	

23	الطباخ	الإعلام 3/543
24	سالنامة	1309
25	سالنامة	1310
26	الغزي	نهر الذهب1/357
27	الغزي	نهر الذهب1/349
28	الغزي	نهر الذهب 1/349
29	الغزي	نهر الذهب 1/349
30	سالنامة	1310

ـ الفصل الثالث ـ

الــواقع الاقتصــادي

رأينا كيف أن دور حلب الاقتصادي قد شهد تراجعاً كبيراً خلال الفترة التي نتحدث عنها: النصف الثاني من القرن التاسع عشر والنصف الثاني من القرن العشرين.

وهذا التراجع له أسبابه الدولية والاقليمية والمحلية.

1 ـ فقد أدت التطورات العالمية منذ اكتشاف رأس الرجاء الصالح حتى فتح قناة السويس، إلى سلسلة من التراجعات الاقتصادية لدور حلب، كانت تتماسك أحياناً، وتتعثر أحياناً أخرى، حتى إذا كان فتح قناة السويس وانتقال طريق التجارة العالمي إلى طريق بحري قصير ورخيص، دفعت حلب ثمن ذلك أكثر من 90% من تجارتها.

وانعكس ذلك بالبحث عن مراكز أخرى انتقل إليها التجار الحلبيون، والتجار الأجانب الذين كانوا يقيمون في حلب، وكان هذا الانتقال ـ على سبيل المثال ـ إلى الإسكندرية وبورسعيد ومرسيليا ونابولي ومانشستر....

2 ـ أما على المستوى الإقليمي فقد أدى انهيار الدولة العثمانية إلى إلغاء دور حلب كمدينة تتوسط إمبراطورية كبيرة، وتبع ذلك تقليص حجم ولاية حلب نتيجة اتفاقيات: سايكس ـ بيكو وما تبعها من اتفاقيات مع تركيا مثل اتفاقية «سيفر» و«أنقرة» ولوزان، وبموجبها سلخت عن حلب مناطق كيليكيا الواسعة عام 1922 ثم تبع ذلك سلخ لواء اسكندرون عام 1938.

3 ـ وعلى المستوى المحلي تركز الاهتمام على العاصمة الجديدة «دمشق» مما أفقد حلب كثيراً من دورها وقدرتها على الحركة الاقتصادية.

* * *

***- إن الفترة التي نتحدث عنها تنقسم إلى ثلاثة عهود هي :**

آ - أواخر العهد العثماني 1870 - 1918.

ب - العهد الفيصلي العربي 1918 - 1920.

جـ - مرحلة الانتداب الفرنسي 1920 - 1946.

وكان النقد المتداول في العهد العثماني هو الليرة الذهبية العثمانية وتساوي مائة قرش. كما كان يتداول في حلب نقد أجنبي كالليرة الإنكليزية 110 قروش. والفرنسية والروسية 87 قرشاً (1).

وكان هناك المجيدي الفضي ويساوي 19 قرشاً والبرغود 1.9قرش، والبرغود الصغير 0.95 من القرش. وكل قرش يساوي 40 بارة وفي أوائل القرن العشرين صدرت العملة الورقة العثمانية (2).

وفي العهد الفيصلي أوجدت الحكومة الدينار الذهبي بدل العملات المتداولة. وقدرت موجودات سورية حينذاك بـ 40 مليون ليرة ذهبية.

أما في عهد الانتداب الفرنسي فقد صدرت الليرة السورية المرتبطة بالفرنك الفرنسي.

* * *

وفي عام 1893 افتتح في حلب فرع للبنك العثماني الذي تأسس في العاصمة استانبول. ولكن الناس بقوا يفضلون التعامل بالنقد الذهبي والادخار بالذهب والفضة في تلك الفترة.

وكان سكان حلب يشكون من كثرة الضرائب والطرق الاعتباطية في جبايتها. ومن أمثلة تلك الضرائب:

- الترابية على ملكية المساكن ونسبتها 15%.
- المشروبات الكحولية ونسبتها 20%
- التبغ 10 قروش لكل رطل.
- البدلية لمن لا يخدمون في الجيش وقيمتها 100 ليرة ذهبية.
- ضرائب مؤقتة حسب المواسم والطوارىء.

* ـ ويمكن أن نتوقف الآن عند عناصر الاقتصاد الثلاثة وهي :

1 ـ التجارة : عرف المواطن الحلبي بمهارته التجارية عبر العصور، حتى قيل في المثل: «أعرج حلب وصل للهند».

وكان الحلبيون يحاولون دائماً التكيف مع الظروف القاهرة التي تؤثر في تجارتهم. وقد رأينا كيف أن القنصليات الأجنبية كانت كثيرة في حلب لتساعد مواطنيها في العمل التجاري الذي كانوا يمارسونه من خلال وجودهم في حلب. بدءاً من قنصلية البندقية عام 1207 ومروراً بعشرات القنصليات عبر القرون.

وترافق الوجود التجاري الأوربي مع مجيء الإرساليات الدينية كالفرنسيسكان والكبوشيين والكرمليين واليسوعيين. وكانت الخانات أماكن السكن والعمل لهؤلاء التجار والقناصل ورجال الدين. واستوعبت أسواق حلب الـ 39 سوقاً وخاناتها التي تزيد على مائة خان هذا الجهد التجاري الكبير. هذه الأسواق التي تعود إلى أكثر من 25 قرناً.

خلال الفترة التي نحن بصدد الحديث عنها كانت حلب تصدر القطن والصوف والحبوب وزيت الزيتون والصابون ((صابون الغار)) والعنب والفستق الحلبي، وتشمل الحبوب القمح والذرة، والمصنوعات الخشبية والنحاسية والمنسوجات. والسمن والأغنام والتبغ. (3)

وكان التصدير يتم أساساً عن طريق ميناء اسكندرون ((ميناء حلب الطبيعي)) وكان الحمام الزاجل يستخدم لنقل البريد، وكان يقطع المسافة بين حلب واسكندرون خلال 3 ساعات.

وهذا مثال عن الحركة التجارية بين حلب وبريطانيا خلال عام 1855:

لقد بلغ مجموع ما استوردته حلب من بريطانيا سنة 1855 بالليرات الإسترلينية ما يلي:

مصنوعات قطنية وغيرها:	409.600
سكر	4.390
قهوة	2.403

المجموع	**416.393**

أما ما صدرته إليها سنة 1855 فكان:

قمح	240.000
ذرة	31.250
سمسم	60.000
قطن	20.000
صوف	108.000
طحين	150.000
المجموع	**609.250**

وبذلك يكون الميزان التجاري لصالح حلب بوفر قدره 192.857 ليرة ذهبية إسترلينية(4).

❋ ❋ ❋

2 ـ الـزراعة :

عرف حوض الفرات قرب حلب زراعة القمح منذ الألف العاشر قبل الميلاد. وهي أول زراعة في التاريخ البشري.

ولا يزال القمح الزراعة الرئيسية في منطقة حلب. فالسهول الحمراء والصفراء الواسعة، والمناخ المعتدل، ومياه الأمطار، والنهر ((قطعه الأتراك فيما بعد)) تشكل كلها مجالاً رحباً للنشاط الزراعي.

وإلى جانب القمح تأتي الحبوب على اختلاف أنواعها كالشعير والذرة والشوفان، والبقول كالعدس والفول والفاصولياء والبازلاء...

كما تنتج حلب كل أصناف الخضروات المعروفة، ويزيد إنتاجها على 20 صنفاً من الخضار كالباذنجان والخيار والبامياء والكوسا، والملفوف والبصل والثوم.... إلخ وكذلك شأن الفواكه والأشجار المثمرة، حيث تنتج حلب أكثر من عشرين نوعاً من أشهرها الفستق والكرز والمشمش والزيتون والعنب والحمضيات.

ومحاصيل كالقطن والشمندر والتبغ والسمسم والكمون ودوار الشمس، وهي محاصيل تدخل في الصناعات المختلفة.

وقد زرعت «البندورة» لأول مرة في حلب عام 1854 (5).

وتتصل بالزراعة تربية المواشي. ويعرف منها في حلب في تلك الفترة الجمال والأغنام والأبقار والماعز.

وكذلك الدجاج والإوز والبط والأرانب والطيور والنحل وما يتصل بكل ذلك من صناعات غذائية: لحوم وحليب وعسل وجلود...

أما الأسماك فتأتي إلى حلب من نهر الفرات أو من نهر العاصي.

3 ـ الصناعة :

تتصل الصناعة في حلب بالمنتجات المحلية من زراعية وطبيعية.

ومن المعلوم أن تاريخ حلب القديم حافل بعدد كبير من الصناعات كالزجاج والأقمشة والسجاد والمعادن الثمينة والأخشاب.

وقد ارتبطت الصناعة بالتجارة في كل مراحل تاريخ المدينة. وبخاصة أيام طريق الحرير، حينما كانت حلب محطة رئيسية على هذه الطريق، وكانت لذلك تحوي أعداداً هائلة من أنوال الحرير، ومساحات شاسعة من أشجار التوت المنتجة لدودة القز.

يذكر «فارلي» انه في عام 1862 كان في حلب أكثر من عشرة آلاف نول لصناعة النسيج. وكانت هذه الأنوال تنتج الأطلس الحريري، والأغباني من القطن أو الحرير والمناديل القطنية والعباءات من الصوف أو القطن أو الحرير والخام القطني (6). وكانت الأنوال في القيساريات والبيوت. وكان لكل حرفة «شيخ كار» متعارف عليه، وهو بمثابة نقيب المهنة المنتخب. (7)

ومن أنواع المصنوعات النسيجية التي اختصت بها حلب: الصايات، وأخذ كل منها تسمية خاصة مثل: سبع ملوك، شاهية، قشطة بعسل، سمسمية، بللورية...... إلخ (8).

ولا تزال كثير من الأسر الحلبية تحمل أسماء تدل على مهن صناعات نسيجية مثل: قطان، صواف، حريري، فتال، ملقي، صباغ، دباغ، فرواتي، حايك، صقال، قصبجي، كتنجي، مزيك.... إلخ.

وبرعت حلب بصناعة السجاد، وبخاصة الصوفي، وكانت النساء تعملن بـه في البيوت (9) وفي متاحف أوربا سجادات معروضة من الصناعات الحلبية.

وهناك صناعة الورق وما يتصل به من طباعة وتجليد. وتحمـل أكثـر مـن أسـرة تسمية «الوراق».

أما الصناعات الخشبية فالمعروف منها الأثاث الخشبي والزخارف الخشبية في المباني والمشربيات، والتطعيم بالصدف والنحاس والفضة، والحفـر علـى الخـشب، وتزيين الجدران بالأخشاب الثمينة.

وللصابون شهرة كبيرة في الصناعة الحلبية. وتعرف بلاد العالم كلها صابون الغار الحلبي، الذي توجد منه حتى اليوم مصابن كبيرة وتشتهر أسر معينة في هـذا المجـال. وهو صابون نباتي من المواد الطبيعية. واستعماله صحيّ جداً.

كذلك تشتهر حلب بالمصوغات الذهبية والفضية. ويعـرف «السلـسال الحلـبي» الذهبي في كل العالم. كذلك صـياغة المـاس والأحجـار الكريمـة الأخـرى. وتـدخل صناعة الفضة في الأواني المنزلية بشكل واسع.

وفي متحف حلب الوطني مصوغات تعود إلى الألف الثاني قبـل المـيلاد، ممـا يدل على قدم هذه الصناعة.

وهناك الصناعات الجلدية من جلود الجمال والأغنام والماعز. وتصنع الحقائـب والأحذية والجلود المخصصة للمفروشات.

وهناك الصناعات المعدنية، وبخاصة النحـاس المـستعمل في الأدوات المنزليـة وفي الزينة. وكذلك الصناعات الزجاجية والخزفيـة والفسيفـساء في المنـازل. والفخّـار بأنواعه.

وفي عام 1868 افتتح في حلب مكتب للصنائع أدخل إليه حوالي مائة من أبنـاء الفقراء لتعليمهم مبادىء بعض الصناعات الجلدية والنسيجية والمعدنية (10).

وأقيم عام 1903 معرض للـصناعات المحليـة في المكتـب الـسلطاني. ويـذكر الغزي أن المعرض أقيم «لتشهير البضائع التجارية والـصناعات الوطنيـة كالمنـسوجات القطنيـة والحريريـة والقـصبية والفـضية والذهبيـة والـسراجية والحديديـة والنحاسـية والنجارية والترابية والدباغية والعطرية من حلب وأكثر البلدان الكبار في ولايتها.

والبضائع التي حازت فيه قصب السبق وصارت محل إعجاب الجميع هي منسوجات حلب». (11)

ومن اللافت أن كل الأعراق والطوائف في حلب من مسلمين ومسيحيين ويهود كانوا يزاولون كل المهن والصناعات مع اختلاف يسير في التركيز على مهن دون أخرى. وهذا ما يفسر لنا وجود أسماء أسر لدى كل الطوائف مثل:

صباغ، حداد، حجار، نحاس، صايغ، ذهبي... إلخ.

وهذا نموذج من ميزانية حلب لعام 1897 ثم لعام 1907 وذلك لإلقاء الضوء على الوضع الاقتصادي في تلك الفترة.

*** ـ نموذج من ميزانية حلب في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ـ**

واردات حلب عن سنة 1897 (12)

الأملاك والتمتع	2449001غروش
بدل عسكري	514673
رسوم الأغنام	1470000
بدل الأعشار	130687
واردات شتى	1152753
المجموع	5717114

مصاريف حلب عن سنة 1897 (13)

الشرعية	76504
الداخلية	1149493
العدلية	3128830
المالية	770680
أسهام متنوعة	807531
المجموع	3123038

واردات حلب عن سنة 1907 (14)

الأملاك والتمتع	2314348غروش
بدل عسكري	730598
رسوم الأغنام	851328
بدل الأعشار	185000
واردات شتى	1025606
المجموع	5106880

مصاريف حلب عن سنة 1907 (15)

الشرعية	76504
الداخلية	1149493
العدلية	318830
المالية	770680
أسهام متنوعة	807531
المجموع	3123038

أما في عهد حكومة فيصل، فهذا جدول صادر عام 1919 يوضح شيئاً عن الوضع الاقتصادي في تلك الفترة: (16)

ـ جدول المطاحن البخارية مع ذكر أمكنتها وأسماء أصحابها، وقد بلغ عددها عشرين مطحنة بخارية.

معامل الجليد بلغ عددها **3**	معامل المعاصر والعدسات**8**	طواحين الحجر**76**
الدباغات**40**	مصابغ النيل**27**	الغزل والحرير**56**
خانات الحبوب**49**	القوافية**145**	الحذائين(الكندرجية)**116**
الصرماتية**145**	بائعي الحلويات**135**	بائعي الكرستة والكوسلة**35**
الصياغ والجوهرجية**20**	النحاسين**59**	صناع الخام البلدي**124**
صناع المنسوجات الحريرية**159**	الأفران**90**	العطارين**157**
السراجين**94**	النجارين**49**	بائعي القرطاسية**22**
عاملي الموبيليا**22**	صانعي العبي**127**	صانعي الحطايط والبوشية**53**
صناع الأغباني**117**	الحوذيين**203**	مخازن الأرزاق**45**
بائعي المشروبات**53**	الحدادين**50**	الخياطين**58**
نجاري العربات**38**	صناع العدول**44**	صناع الغزلية**247**
الجزارين**150**	عاملي المسكرات**22**	المصابن مع ذكر أصحابها**11**
القوابل **6**	الأطباء والموظفون مع ذكر أسمائهم**17**	
المستشفيات **6**	المدارس الأهلية الإسلامية**4**	الفنادق مع ذكر أصحابها**11**
الصيدليات مع ذكر أصحابها**21**	الأطباء غير الموظفين**38**	مستودعات الأدوية**7**
المحامون **17**	المدارس الدينية العلمية الإسلامية **12**	

المدارس مع ذكر أسماء العاملين **26**

المطاعم**10**

ﮐﮐﮐ ـ هوامش الفصل الثالث ـ ﮐﮐﮐ

1 .	فؤاد هلال ونديم فقش	دليل حلب ـ ص 319	حلب2000
2 .	فؤاد هلال	دليل حلب 320	
3 .	جرجي يني	تاريخ سورية ـ ص 305	
4 .	Farley	The Resources . P:٢٣٩	
5 .	الغزي	نهر الذهب ـ3/389	
6 .	Farley	P:٢٣٦	
7 .	الغزي	نهر الذهب ـ 2/270	
8 .	فؤاد هلال	دليل حلب ـ ص345	
9 .	الغزي	نهر الذهب ـ 3/462	
10	الطباخ	الأعلام ـ 3/462	
11	الغزي	نهر الذهب ـ 3/459	
12	سالنامة 1316		
13	سالنامة 1316		
14	سالنامة 1316		
15	سالنامة 1316		
16	عنتابي	حلب في مائة عام ـ 2/216	

الــواقع الثقافــي

كان الواقع الثقافي خلال فترة حديثنا عن حلب 1850 ـ 1930 على النحو التالي:

أولاً : الجانب التعليمي: وفي تلك المرحلة نلاحظ وجود ثلاثة أنواع من المدارس في حلب:

1 ـ المدارس والكتاتيب التقليدية التي تدرس القرآن الكريم ومبادىء علوم الدين واللغة والحساب. وهي على نوعين:

ـ وقفية: يتم الإنفاق عليها من الأوقاف.

ـ خاصة: يديرها أفراد يتقاضون أجرة أسبوعية تدعى «الخميسية» لأنها تدفع يوم الخميس. (1)

وفي عام 1900 كان في حلب 65 كتّاباً من هذا النوع تضم ثلاثة آلاف تلميذ(2).

2 ـ المدارس الدينية المتخصصة: وقد تكون ملحقة بالجوامع أو مستقلة عنها. ومن أشهرها في حلب في تلك الفترة: (3)

ـ الرضائية العثمانية.

ـ الشعبانية.

ـ البهائية.

ـ القرناصية.

ـ المنصورية.

ـ الخسروية.

وكان في بعضها أقسام لمبيت الطلبة وإطعامهم.

3 ـ المدارس الحكومية النظامية: وقد سايرت هذه المدارس قانون إصلاح التعليم الذي صدر عام 1846. فبدأ تأسيس المدارس حسب المناهج الحديثة. وأولها

في حلب المدرسة المنصورية 1861 (4) ودعيت هذه المدارس بالمدارس الأميرية. تليها مرحلة التعليم الثانوي وسميت مدارسها «المكاتب الرشدية» وكان المنهاج يشمل الأدب والنحو والحساب والهندسة والتاريخ والجغرافية والفلك والرسم والصحة وعلوم الدين واللغات العربية والتركية إلى جانب الفارسية أو الفرنسية أو الإنكليزية.

وتفرع عن هذه المدارس مدارس متخصصة للعلوم العسكرية فسميت «المكاتب الرشدية العسكرية».

وأول مدرسة ثانوية حكومية افتتحت في حلب كانت عام 1892 وسميت «المكتب الإعدادي الملكي» وهي اليوم «ثانوية المأمون».

كما أنشئت بعض المدارس المتخصصة الأخرى مثل:

- نموذج الزراعة.
- الصنائع.
- إصلاح خانه ((لتعليم بعض المهن اليدوية)).

واستمر إنشاء هذه المدارس بأقسامها الابتدائية والرشدية والإعدادية، أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين. وقد بلغ عددها 92 مدرسة منها 32 مدرسة للبنات.

وكان بعضها يضم أجنحة للمبيت، وذلك إما مجاناً أو بدفع قسط. وقد حققت هذه المدارس قفزة نوعية كبرى في ميدان التعليم. وهذا جدول بأسماء هذه المدارس مطلع القرن العشرين (5)

4 ـ المدارس الأجنبية والطائفية الخاصة: (6)

وهي المدارس التي أنشأتها الإرساليات الدينية المختلفة التابعة لدول أوربية أو أمريكية. أو تلك التي أنشأتها بعض الطوائف المسيحية المحلية.

ومن أوائل هذه المدارس في حلب:

- مدرسة الأرض المقدسة ((الشيباني)) وكانت داخل الأسوار ثم انتقلت إلى ظاهر المدينة وتعود إلى عام 1853. وكانت تدرس إلى جانب العلوم المختلفة عدداً من اللغات كالإيطالية والفرنسية إلى جانب العربية. ولغات اختيارية كالإنكليزية والألمانية.
- مكتب الإناث قرب المدرسة السابقة 1864. وهما تابعان للآباء الفرنسيسكان.

ـ مدرسة البنات للرهبنة اليسوعية 1882 .
ـ مدرستان للبروتستانت 1848 ـ 1852.
ـ ثلاث مدارس لراهبات مار يوسف.
ـ أربع مدارس للروم الكاثوليك آخرها 1898.
ـ مدرسة الروم الأرثوذكس 1800 وجددت 1882.
ـ مدرسة الروم الأرثوذكس للبنات.
ـ المدرسة المارونية وتعود إلى 1666.
ـ المدرسة المارونية للبنات 1914.
ـ مدرسة السريان 1850.
ـ مدرسة السريان للبنات 1899.
وفي عام 1903 كان في حلب 17 مدرسة خاصة مسيحية.
أما الطائفة اليهودية فكان لها عشر مدارس واحدة منها للبنات (7).

* * *

ثانياً: الجانب الإعلامي ((الصحف والمجلات))

شهدت فترة 1870 ـ 1930 ثورة في ميدان الصحافة والطباعة، مستفيدة من ظروف الإصلاحات السياسية.

ـ ويمكننا تقسيم تلك الفترة إلى أجزائها المألوفة:
ـ 1870 ـ 1918 بقايا العهد العثماني.
ـ 1918ـ 1920 العهد الفيصلي العربي.
ـ 1920 ـ 1930 الانتداب الفرنسي.

ففي الفترة الأولى ((العثمانية)) صدرت في حلب 28 جريدة ومجلة.

وفي الفترة الفيصلية صدرت 17 جريدة ومجلة.

ففي فترة 1920ـ 1930 من الانتداب الفرنسي صدرت في حلب 53 جريدة ومجلة. فيكون المجموع 98 جريدة ومجلة. وهو رقم قياسي إذا ما قارناه بما يصدر في أية مدينة عربية اليوم.

وهذه الدوريات توقف بعضها سريعاً، واستمر بعضها. وكان لبعضها أثر هام جداً. ومن أبرز الدوريات المؤثرة:

- فرات ولاية حلب
- الشهباء الكواكبي
- اعتدال الكواكبي
- الرأي العام طه المدور
- البريد السوري فاضل أسود
- المرسح نجيب كنيدر
- الوقت طاهر سماقية
- الحديث سامي الكيالي

ومجلة الحديث من أهم المجلات التي صدرت في الوطن العربي وقد استمرت 32 عاماً من 1927 حتى 1959. وهي سجل لنخبة كبرى من الكتاب العرب في شتى أقطارهم. وهذا جدول بأسماء الدوريات التي صدرت في الفترة التي هي موضوع بحثنا: (8)

	الصحيفة	مؤسسها	بدايتها	انتهاؤها	التحولات الطارئة عليها
1	فرات	جودت باشا	**1867**	**1918**	صدرت عام **1867**م باسم «غدير الفرات» ثم صدرت عام **1869** م باسم «الفرات» وظلت حينئذ تصدر ملحقاً باسم «غدير الفرات» أو «علاوة فرات» إلى جانب «السالنامة». انقلبت عام **1918**م إلى «جريدة حلب الرسمية».
2	الشهباء	عبد الرحمن الكواكبي هاشم العطار (خراط)	**1877**	**1879**	
3	الاعتدال	عبد الرحمن الكواكبي	**1879**	**1879**	
4	الشذور	عبد المسيح انطاكي	**1897**	**1898**	
5	التقدم	شكري كنيدر	**1908**	**1949**	صدرت في البدء باسم «الحوادث الداخلية».

	الصحيفة	مؤسسها	بدايتها	انتهاؤها	التحولات الطارئة عليها
6	حلب الشهباء	محمد نافع طلس	1908	1909	
7	صــــــــدى الشهباء	حكمت ناظم وكامل الغزي	1908	1909	
8	فوائد	خليل كامل الجراح	1909	1909	
9	الخطيب	إبراهيم المؤذن	1909	1910	
10	الشعب	ليون حمصي فتح الله قسطون	1909	1912	
11	مسخرة	نوري ومانوئيل	1910	1910	
12	الكشكول	فاتح عمري	1910	1910	
13	الأهالي	مانوئل وعاصم	1910	1910	
14	لسان الأهالي	ارداشيس بوغكيان مصطفى عاصم	1910	1913	
15	الإعلان	فتح الله قسطون	1910	1911	
16	الورقاء	جرجس شلحت	1910	1911	
17	تنوير أفكار	عيسى محمد هاشم ناصر الدين ابراهيم	1911	1911	
18	مكتبلي	فاتح عمري أحمد سامي	1911	1911	
19	المرسح	محمود دهني	1911	1911	
20	النهار	حسين حازم	1911	1911	
21	الصدق	مــــصطفى رشـــــدي حمصي	1911	1912	
22	العفريت	سامي غالبي محمد المصري	1911	1912	
23	هوبالا	مانوئل	1911	1912	
24	الغول	مصطفى رشواني	1911	1912	
25	تثبت	مانوئل	1911	1912	
26	أغبيور	م . س . نجاريان	1912	1914	
27	الرأي العام	طه المدور	1916	1918	
28	بورتسانك		1916	1918	

الصحيفة	مؤسسها	بدايتها	انتهاؤها	التحولات الطارئة عليها
29 هاي تساين	ستراك كبنليان	1918	1919	
30 داراكير	بنيامين ملدونيان	1918	1919	
31 العرب	أحمد سامي السراج	1918	1919	
32 حلب	حكومة حلب	1918	1933	
33 الصاعقة	بطرس معوض شفيق طوبجي	1918	1922	أصدر معوض «الأمة» عام 1920م فانفرد بها شفيق طوبجي
34 حقوق البشر	عبد الحميد الجابري	1919	1952	
35 النهضة	محمد صبحي البصمةجي	1919	1952	توقفت مدة صدور «العدل»، وآل امتيازها عام 1947م إلى صلاح الدين بصمةجي، وتوقفت زمن الزعيم
36 الراية	منيب الناطور نجيب الأرمنازي	1919	1920	
37 المصباح	عبد الحميد وعبد الودود الكيالي	1919	1920	
38 البريد السوري	فاضل شكري أسود	1919	1953	
39 مجلة الشركة الزراعية	الشركة الزراعية بحلب	1919	1920	
40 يبراد	مارديروس حكيميان	1919	1919	
41 هاي كنار		1919	1919	
42 الوطن	شاكر نعمت الشعباني	1920	1920	
43 العدل	محمد صبحي البصمةجي	1920	1920	
44 الشعلة	فتح الله ووديع قسطون	1920	1924	
45 الأمة	بطرس معوض	1920	1922	
46 النشرة الشهرية للأعمال الإدارية	دولة حلب	1921	1925	

	الصحيفة	مؤسسها	بدايتها	انتهاؤها	التحولات الطارئة عليها
47	شفق	زكريا رضا	1921	1921	
48	الآمال	صديق صندوق	1921	1922	
49	المرسح	نجيب كنيدر	1921	1928	توقفت فترة ثم عادت إلى الصدور في 1926/8/13م باسمها السابق
50	سوريا الشمالية	أنطوان يوسفاكي شعراوي	1921	1928	
51	النشرة الشهرية	غرفة تجارة حلب	1921	الثلاثينات	
52	المراسل السوري		1922	1922	
53	الصحيفة السورية	هايك طوروسيان ديكران بيرتسيان	1922	1927	
54	ميرا وغين		1923	1924	
55	ميغو		1923	1925	
56	الشرطة	مديرية الشرطة	1923		
57	كيداغات شارجوم		1923	1924	
58	الترقي السوري	بهاء الدين الكاتب محمد طاهر سماقية	1923	1925	تركها سماقية بعد ستة أشهر، ثم أصدر عام 1925 «الوقت».
59	الدوائر المالية	حكومة حلب	1924	1933	
60	حديقة التلميذ	المدرسة الفاروقية	1924	1925	
61	الكشاف العربي	عبد القادر الشوا	1924	1925	
62	الكلمة	بولس قوشاقجي فتح الله الصقال	1924	مستمرة	
63	الجريدة الزراعة	عبد القادر ناصح الملاح	1924	1925	

	الصحيفة	مؤسسها	بدايتها	انتهاؤها	التحولات الطارئة عليها
64	بايكاركيناتس	جمعية اليتامى للشرق الأوسط	1924	1924	نُقلت بعدئذ إلى بيروت فصدرت من هناك بين عامي 1925 و1931م.
65	الصحيفة السورية	ملحق للصحيفة السورية	1925	1926	مجلة طلابية شهرية
66	الوقت	محمد طاهر سماقية	1925	1958	صدرت منذ عام 1953 باسم«الجمهور العربي» الأسبوعية.
67	ماران آتا	إبراهام كاتسفريان	1925	1963	توقفت فترة انقلاب الزعيم
68	هاي سكول	الكلية الأمريكية	1925	1926	
69	أوسوم	الجمعية الثقافية للشباب الأرمن	1925	1928	
70	الميثاق	محمد شرف الدين الفاروقي ومحمد أمين الميسر	1925	أواخر الثلاثنيات .	
71	مجلة المحاماة	نقابة المحامين بحلب	1926	1928	
72	القربان المقدس	أغناطيوس سعد	1926	1958	منذ عام 1927م أصبح اسمها" القربان" وفي أوائل الثلاثينات أصبح اسمها" الشهباء". وقد توقفت فترة انقلاب الزعيم.
73	الثعبان	فؤاد حسني المدرس محمد فتحي العوف	1926	1928	تفرعت عنها الكشكول عام 1930م
74	الاتحاد	محمود وهبي	1926	1949	
75	الرحمة	القس إلياس غالي	1927	الثلاثينات	
76	المجلة	أحمد ناجي الزاغاتي	1927	1958	في عام 1939م صدرت

	الصحيفة	مؤسسها	بدايتها	انتهاؤها	التحولات الطارئة عليها
	الحقوقية				باسم«الجريدة الحقوقية»
77	الحديث	سامي الكيالي	1927	1958	
78	الفجر	عطا الله الصابوني	1927	1928	تفرعت عنها «المكنسة» عام 1928م.
79	بيراد	يغيازار بيناليان	1927	1949	
80	لويس	مدرسة دار التربية	1927	1932	
81	تساين	غرابيت كفريان كريكور جلجيان	1927	1928	
82	على كيفك	محمد فهمي الحجار	1927	1928	تفرعت عنها «الجهاد» عام 1928م
83	نور أفيدبير	كؤابيت هرتونيان ديكران خرلوبيان	1927	1934	
84	هوس هوس	مكرديج كابراش	1928	1929	
85	التاج	أمين تاج الدين	1928	1930	
86	المكنسة	عطا الله الصابوني	1928	1928	
87	السلام	جلال قدري	1928	1930	تفرعت عنها «دوغريوول» عام 1930م.
88	الأهالي	شاكر نعمت الشعباني	1928	1942	
89	الجهاد	محمد فهمي وعبد القادر حقي الحفار	1928	1946	تفرعت عنها «الجهاد العربي» عام 1946م.
90	ديغيكادو	الكلية الأمريكية	1929	1932	
91	كيانك		1929	1935	
92	الاعتصام	عبد الله العتر عون الله الإخلاصي	1929	1933	

الصحيفة	مؤسسها	بدايتها	انتهاؤها	التحولات الطارئة عليها
	محمد الحكيم			
93 الجامعة الإسلامية	محمد علي الكحّال	1929	أوائل الستينات	
94 دوغريوول	جلال قدري	1930	الثلاثينات	
95 وحدت	نوري كنج	1930	1935	
96 الكشكول	محمد فتحي العوف	1930	1930	
97 المرأة	نديمة المنقاري	1930	1932	عادت المجلة للصدور في دمشق(1947 ـ 1949م).
98 زاركاتسير	جمعية دار التربية	1930	1931	

* * *

ومن ناحية أخرى نشط أبناء حلب في إصدار الصحف والمجلات خارج مدينة حلب. وهذا جدول بالصحف في الفترة موضوع بحثنا (9)

	الصحيفة	مؤسسها	مكان الصدور	بدايتها	انتهاؤها
1	مرآة الأحوال	رزق الله حسون	الآستانة	1854	استمرت عاماً ونصف العام.
2	رجوم وغساّق إلى أحمد فارس الشدياق	رزق الله حسون	لندن	1868/5/4	أصدرت عددين فقط وانتهت في 1968/5/5م.
3	آل سام	رزق الله حسون	لندن	1872	أصدرت أعداداً قليلة.
4	مرآة الأحوال	رزق الله حسون	لندن	/10/19 1876	استمرت سنتين

	الصحيفة	مؤسسها	مكان الصدور	بدايتها	انتهاؤها
5	الصدى	جبرائيل الدلال	باريس		استمرت سنة واحدة
6	حل المسألتين الشرقية والمصرية	رزق الله حسون	لندن	1877	استمرت سنة وانتهت بوفاة صاحبها عام 1880م.
7	السلام	جبرائيل الدلال	الآستانة	1879/7/23	تركها الدلال بعد العدد الثامن لعبد الله خالص.
8	الدليل	نجيب هندية	القاهرة	1891	أصدرت أعداداً قليلة
9	الأجيال	ميخائيل الصقال	القاهرة	1897/6/19	استمرت عاماً ونصف العام.
10	الشهباء	عبد المسيح الانطاكي	القاهرة	1898/11/1	تحولت إلى «العمران» في 1902/3/16م.
11	الخلافة	نجيب وسليم هندية بالاشتراك مع سليم فارس الشدياق	لندن	1899/9/28	
12	العمران	عبد المسيح الانطاكي	القاهرة	1902/3/16	توقفت بوفاة صاحبها عام 1923م.

وكانت أول مطبعة عرفتها تلك التي أسسها أثنانيوس الرابع عام 1702 وهي أول مطبعة عربية في الوطن العربي. وحتى عام 1930 كانت حلب قد عرفت /31/ مطبعة هي على النحو التالي: (10)

	المطبعة	مؤسسها	بدايتها	انتهاؤها	التحولات الطارئة عليها
1	الدباس	اثناسيوس الرابع	1702	1721	
2	بلفنطي	بلفنطي	1841	؟	
3	المارونية	يوسف مطر	1857	مستمرة	
4	ولاية حلب	جودت باشا	1867	1933	انقلبت عام 1918 إلى مطبعة حكومة حلب.
5	العزيزية	عبد الرحمن الكواكبي هاشم العطار	1877	1918	
6	فوائد	عبد المسيح انطاكي	1897	1898	
7	التقدم	شكري كنيدر	1906	1951	بيعت إلى «مطبعة الإحسان» و «مطبعة النهضة».
8	الإتقان		1906	1913	
9	المعارف	نجيب كنيدر	مستمرة		
10	الكمال	عزرا جويجاتي	1908	1981	
11	البهاء		1909	1911	
12	لوكس	جوزيف ستون	1912	1948	
13	هاي تساين		1918	1919	
14	الثبات	جوزيف عجمي	1918	مستمرة	بين عامي 1965 ـ 1970 ضمت إلى مطبعة «السلام».
15	النهضة	محمد صبحي بصمةجي	1922	مستمرة	
16	الإحسان	ميتم الروم الأرثوذكس	1922	مستمرة	

	المطبعة	مؤسسها	بدايتها	انتهاؤها	التحولات الطارئة عليها
17	الصحيفة السورية	جريدة الصحيفة السورية	1922	1926	
18	كوليج	معهد كوليج	1922	1945	تفرعت عنها مطبعة «أرتساكانك» عام 1938م ومطبعة «نايري» عام 1945م.
19	ماراناتا	طائفة الأرمن الأرثوذكس	1922	1963	تفرعت عنها مطبعة «بوزوكيليان» عام 1936م.
20	العلمية	راغب الطباخ	1922	1942	ضمت عام 1942م إلى مطبعة "العصرية.
21	آرارا	يغيازار بينالياان	1924	1942	تفرعت عنها مطبعة «بيراد» عام 1942م.
22	أراكس	بوزانت توباليان	1924	1935	**تفرعت عنها 1935م مطبعة«قيومجي ودير ساهاكيان».**
23	الكشاف	عبد القادر الشوا	1924	1925	
24	العصر الجديد	قسطون وشركاؤهم	1924	1925	
25	الشهباء	عطا الله الصابوني	1924	1928	
26	الوقت	محمد طاهر سماقية	1925	1960	بيعت إلى مطبعة «الاقتصاد».
27	الثريا		1927	1930	
28	الحديث	تاج الدين تاجو	1927	1929	
29	آني	أواديس أكماكجيان	1929	1973	تفرعت عنها مطبعة «أريويلك» عام 1950.
30	الحديث	سامي الكيالي	الثلاثينات	أواخر الثلاثينات	تفرعت عنها المطبعة «التجارية».

	المطبعة	مؤسسها	بدايتها	انتهاؤها	التحولات الطارئة عليها
31	الفريد	محمد سعيد عقيل	الثلاثينات	الثلاثينات	مطبعة حجرية.

وفي إطار الحديث عن دور العلم، وعن الصحف والمجلات، يمكننا الإشارة إلى أن مدينة حلب عرفت أعداداً كبيرة من المكتبات العامة والخاصة، وذلك رغم المرات الكثيرة التي دمرت فيها المدينة أو أصابها الزلزال.

وفي أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين كان في حلب عدد من المكتبات أبرزها: (11).

- **المكتبة الأحمدية** : وتضم أكثر من ثلاثة آلاف مخطوط.
- **المكتبة العثمانية** : 1500 مخطوط.
- **المكتبة الخسروية** : 1228 مخطوط.
- مكتبة **الجزار** : 1000 مخطوط ومطبوع.
- مكتبات الوقفية والقرناصية والإخلاصية والصديقية والسكاكينية والاسماعيلية والكواكبية والبهائية.

ومكتبات خاصة لكل من (12) مصطفى كتخدا ـ زكي حميد باشا ـ مرعي الملاح ـ عبد القادر الجابري ـ حسين المدرس ـ قسطاكي الحمصي ـ جرجس شلحت ـ جرجس منش ـ أسعد عنتابي.

وتضم هذه المكاتب أصناف العلوم المختلفة.

وهناك مكاتب تابعة للطوائف المسيحية. من أشهرها: (13)

- المكتبة المارونية وفيها قرابة 2000 مخطوط.
- مكتبة السريان الكاثوليك.
- مكتبة الروم الأرثوذكس.
- مكتبة الروم الكاثوليك.

* * *

وإذا تساءلنا عن الجمعيات التي عرفتها حلب، فإن الجواب سيكون أقرب إلى السلبية. لأن مناخ الاستبداد في تلك الفترة لم يسمح بظهور الجمعيات.

ولكن بعض الأنشطة الاجتماعية والفنية كانت مرتبطة بالكنائس أحياناً. ومن ذلك النشاط الفني الذي كانت تقيمه المدرسة المارونية. ومن أمثلته تمثيل مسرحية «أفيجيني» يوم 1887/2/14. وهي من تأليف الشاعر الحلبي أوغسطين عازار (14).

وعام 1891 تأسست جمعية التعليم المسيحي (15)

وتأسست «جمعية النشأة التهذيبية» سراً عام 1907. وأعلنت نفسها عام 1908 ولكنها توقفت.

وفي عام 1910 أنشأ بعض الأدباء نادياً أدبياً لم يلبث أن توقف. كذلك انشأ القس توما أيوب «نادي الأدب» 1909 لصرف الشبيبة عن اللهو وارتياد المقاهي.

وفي العام نفسه 1909 تأسست في حلب «جمعية الإخاء العربي» للمطالبة بحقوق الأمة العربية. كما ظهر «نادي الجهاد العربي» و«جمعية تثقيف الفقير» 1913.(16)

ويشير كتاب «حلب في مائة عام» إلى بعض الأندية مثل:

- نادي الأخوة 1909.
- النادي العسكري 1909.
- نادي التعاضد 1910.
- نادي الإخاء العربي 1911.
- جمعية النشء الفاروقي 1924.
- جمعية العاديات 1924/8/2. وهي جمعية تهتم بحماية الآثار والتراث والدفاع عن المعالم التاريخية. وقد أسسها المؤرخ كامل الغزي مع لفيف من أبناء حلب الغيورين على تراثهم. ولا تزال الجمعية تعمل منذ ذلك التاريخ بهمة ونشاط واستقلالية في قرارها وديمقراطية في أسلوب إدارتها. ولي شرف رئاستها منذ عام 1994 حتى اليوم.

* * *

بقي أن نتوقف عند أبرز أعلام الفكر في تلك الفترة وما أكثرهم. عن مدينة حلب لم تنل حقها من دراسة دورها الريادي في تطور الفكر العربي في عصر النهضة أواخر القرن التاسع عشر، وأوائل القرن العشرين (17).

ولدينا أسماء كثيرة بدءاً برزق الله حسون مروراً بآل المرّاش وآل الدلال، والصقال، والغزي، وعازار، والجابري، والأنطاكي، والنعساني، والمعلم الكبير الكواكبي.

*** ـ وهذه وقفة سريعة عند أبرزهم :**

1 ـ رزق الله حسون 1825 ـ 1880. أسس جريدة «مرآة الأحوال» 1854 في استانبول. وله عدد من الكتب.

2 ـ فرنسيس مرّاش (1836 ـ 1873) أشهر الأخوة الثلاثة ((عبد الله ومريانا)) ـ سافر إلى فرنسا ـ كف بصره وألف بعد ذلك عشرة كتب أهمها: غابة الحق الذي يبشر فيه بالحرية والمحبة والتمدن.

3 ـ عبد الله مرّاش ((1839ـ 1899)) وقد كتب في العلوم والأخلاق والآداب.

4-مريانا مرّاش (1849ـ 1919) الشاعرة التي مرّ ذكرها.

5-جبرائيل الدلال: (1836ـ 1892): صاحب قصيدة «العرش والهيكل» وهي قصيدة ذات طابع سياسي وفكري جريء.

6 ـ نصر الله الدلاّل: ((1841ـ 1883)): شقيق جبرائيل تحدث عن أثر العلوم في التقدم.

7 ـ ميخائيل الصقال ((1852 ـ 1937)): كتب الشعر والدراسات والتاريخ. ودعا إلى التطور عن طريق العلم.

8 ـ الشيخ بشير الغزي ((1857 ـ 1921)): عالم في مسائل الدين واللغة والأدب.

9 ـ الشيخ المؤرخ كامل الغزي: مؤسس جمعية العاديات، وصاحب كتاب «نهر الذهب في تاريخ حلب»، وله عشرة كتب أخرى. كان شيخاً مستنيراً صاحب منهج علمي في كتابة التاريخ.

10 ـ قسطاكي الحمصي ((1858ـ 1941)) صاحب كتاب «أدباء حلب ذوو الأثر في القرن التاسع عشر» وعدد من الكتب الأخرى.

11 ـ عبد الحميد الجابري((1864ـ 1951)): وله عدد من الكتب في التاريخ والبحث عن التقدم والنهضة.

12 ـ عبد الرحمن الكواكبي ((1854ـ 1902)): كبير مفكري العرب في عصر النهضة. وصاحب الكتابين الهامين:«طبائع الاستبداد» و «أم القرى» وعشرات المقالات الصحفية المتميزة. كان صاحب رؤية مستنيرة في الإصلاح. ولا تزال أفكاره حية في قضايا الاستبداد والدعوة إلى التحرر والعلم والوحدة والتمسك باللغة العربية وتعاليم الإسلام، والاستنارة في عرض الأمور، واقتراح الحلول للمشكلات التي يطرحها.

* * *

﷼ - هوامش الفصل الرابع - ﷼

1.	الغزي	نهر الذهب 2/46 ـ 186
2.	سالنامة 1319	
3.	الغزي	نهر الذهب 1/161
4.	كرد علي	خطط الشام 4/82
5.	الدباغ	الحركة الفكرية في حلب ـ 180 وما بعدها
6.	الدباغ	الحركة الفكرية في حلب ـ 99 وما بعدها
7.	الدباغ	الحركة الفكرية في حلب ـ 105
8.	ملاذي	ص 315 وما بعدها
9.	ملاذي	ص 324
10	ملاذي	ص 310
11	الدباغ	الحركة الفكرية في حلب ـ 91 ـ 92
12	الدباغ	الحركة الفكرية في حلب ـ 93 ـ 94
13	الدباغ	الحركة الفكرية في حلب ـ 95 ـ 96
14	عنتابي	حلب في مائة عام ـ1/150
15	توتل فرديناند	وثائق تاريخية عن حلب ـ 2/114
16	الدباغ	الحركة الفكرية في حلب ـ 115 ـ 116
17	الدباغ	الحركة الفكرية في حلب ـ 121 وما بعدها
	الكيالي سامي	11 وما بعدها

إحصاءات عامة حول فصول الكتاب

مدينة حلب عام 1908

من مآثر الدولة العثمانية في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين «السالنامة» وهي المجموعة السنوية لكل ولاية في الدولة العثمانية ومنها ولاية حلب. وكانت السالنامة تضم معلومات وإحصاءات هامة تكون مرجعاً حين اللزوم. وظلت السالنامة تصدر بانتظام حتى العام الهجري 1326 / 1908 أي آخر عهد السلطان عبد الحميد.

ومما يدل على أهميتها الجدول التالي عما كان في مدينة حلب كما هو موضح في الإحصاءات التالية من العمران والحياة الاجتماعية والصناعة والثقافة وما إلى ذلك.

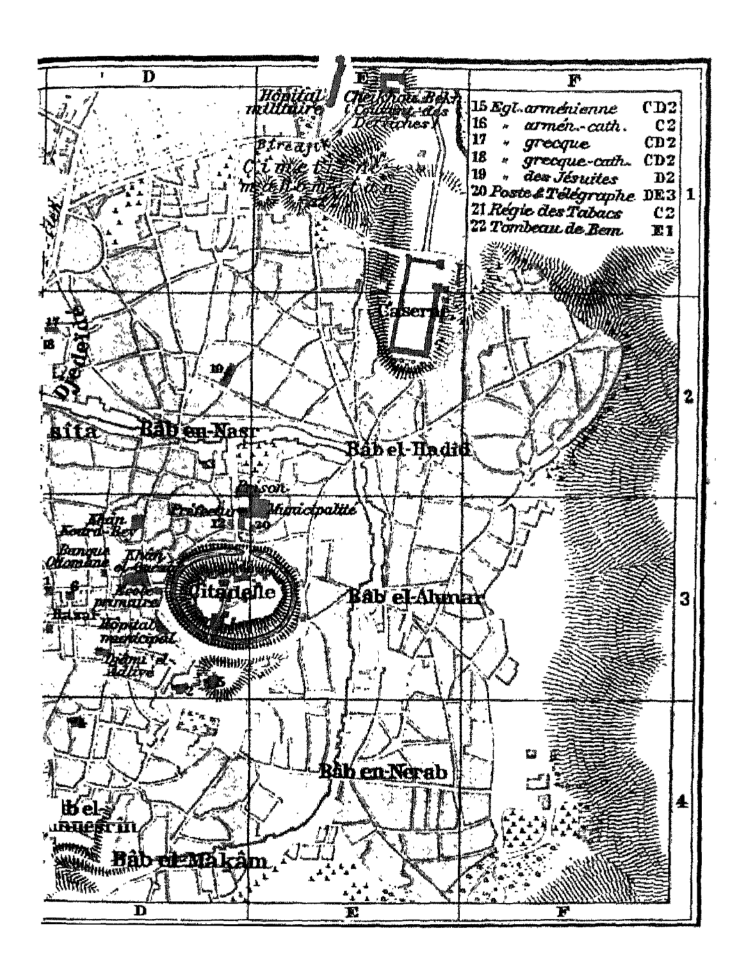
دار الحكومة	1
ثكنة	1
قلعة	1
مستشفى عسكري	1
مستشفى للغرباء	1
مستودع للرديف(الاحتياط)	1
مخافر للشرطة	22
دور للسكن	15890
أحياء وحارات	106
جوامع	169
مساجد	182
تكية وزاوية	19
مكتب إعدادي ملكي	1
مكتب رشدي عسكري	1
مكتب صنائع	1

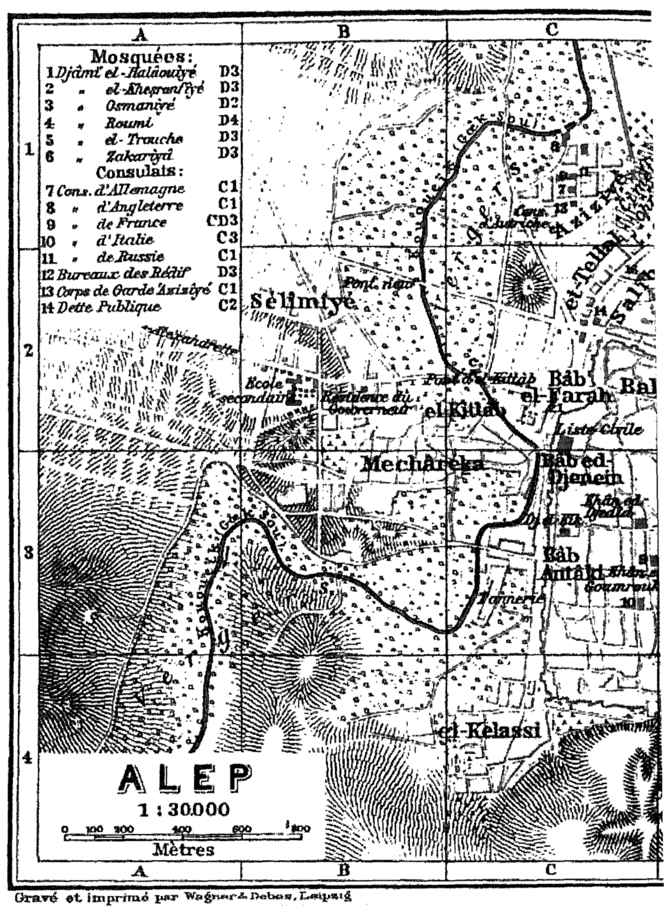
مدارس ابتدائية إسلامية دينية	92
مدارس أخرى	32
مدارس ومكاتب لغير المسلمين	39
مدارس للإناث	3
مدرسة لطائفة الفرنسيسكان	1
مدافن ومقابر	21
كنيسة ودير	21
مصانع للجلود ((كرستة ـ حورا))	3
سبيل ماء	77
حمامات	40
سبيل للماء ((جشمة))	76
موقتخانة:ضبط الأوقات في الجوامع والمساجد	2
برج ساعة ((باب الفرج))	1
مكتبات ((قرطاسية وكتب))	7
دكاكين ومخازن	7790
صيدلياتى ((أجزاخانة))	23
معامل جليد	2
مطابع	5
بدستان ((سوق خاص للأشياء الثمينة))	1
خانات ((للحبوب وغيرها))	117
مطاحن مائية	29
مطاحن تديرها الدواب	128
أفران	112
مصانع للأقمشة	2915
محلات لتنظيف الألبسة وكيها ((جندرة))	4

دباغات	8
باصماخانة ((لطبع المناديل))	27
مقاهي	98
مصابغ	129
مصابن لطبخ الصابون	12
صاغة للحلي والجواهر((قالخانة))	15
معاصر للزيت	7
محالج قطن	4
مصانع للشعيرية	4
مصنع للجلود	1
مطاحن	3
غازينو	5
خمارات	40
كروم	577
بساتين	374
حقول لزراعة الحبوب ((ترلا))	1885
مصانع وأفران للكلس	20
مسلخ	2
مصانع للفخار((فاخورة))	3
مشافي	2
جسور	12

** المراجع **

1. الغزي كامل | نهر الذهب في تاريخ حلب | حلب 1999
2. الطباخ محمد راغب | إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء | حلب 1988
3. البخاش نعوم | مذكرات المعلم نعوم البخاش(مجلة المشرق) أعداد 35 ـ 36 ـ37
4. الحمصي قسطاكي | أدباء حلب ذوو الأثر في القرن التاسع عشر | حلب 1969
5. طرازي فيليب دي | تاريخ الصحافة السورية | بيروت1913
6. طلس محمد أسعد | الآثار الإسلامية والتاريخية في حلب | دمشق1956
7. كرد علي محمد | خطط الشام | دمشق1928
8. السالنامة التركية
9. عنتابي محمد فؤاد نجوى عثمان | حلب في مائة عام | حلب 1993
10 الرفاعي محمود فيصل | حلب بين التاريخ والهندسة | حلب1996
11 الأسدي محمد خير الدين | موسوعة حلب المقارنة | حلب 1990
12 الدباغ عائشة | الحركة الفكرية في حلب | بيروت1972
13 الكيالي سامي | الحركة الأدبية في حلب | القاهرة1956
14 ملاذي سهيل | الطباعة والصحافة في حلب | دمشق1996
15 الصباغ ليلى | الجاليات الأوربية في بلاد الشام | بيروت1989
16 هلال فؤاد ونديم فقش | دليل حلب | حلب2000
17 ندوة تاريخ الطباعة السورية | أبوظبي1996
18 الكواكبي | طبائع الاستبداد | دمشق2002
19 الكواكبي | أم القرى | دمشق2002


D
E
F
Hôpital militaire
Cheikhou Bekr (Couvent des Derviches)
Cimetière
15 Egl. arménienne CD2
16 " armén.-cath. C2
17 " grecque CD2
18 " grecque-cath. CD2
19 " des Jésuites D2
20 Poste & Télégraphe DE3
21 Régie des Tabacs C2
22 Tombeau de Bem E1
1
Caserne
Djedeïde
2
Bâb en-Nasr
Bâb el-Hadid
Prison
Préfecture
Municipalité
Khan Kourt-Bey
Banque Ottomane
Citadelle
Bâb el-Ahmar
3
Hôpital municipal
Bâb en-Nerab
4
Bâb el-Makâm
D
E
F



Gravé et imprimé par Wagner & Debes, Leipzig

